موسوعة الأخلاق

الجزء الثاني عشر

كَظْم الغَيْظ - المحَبَّة - المُدَارَاة - المُرُوءَة

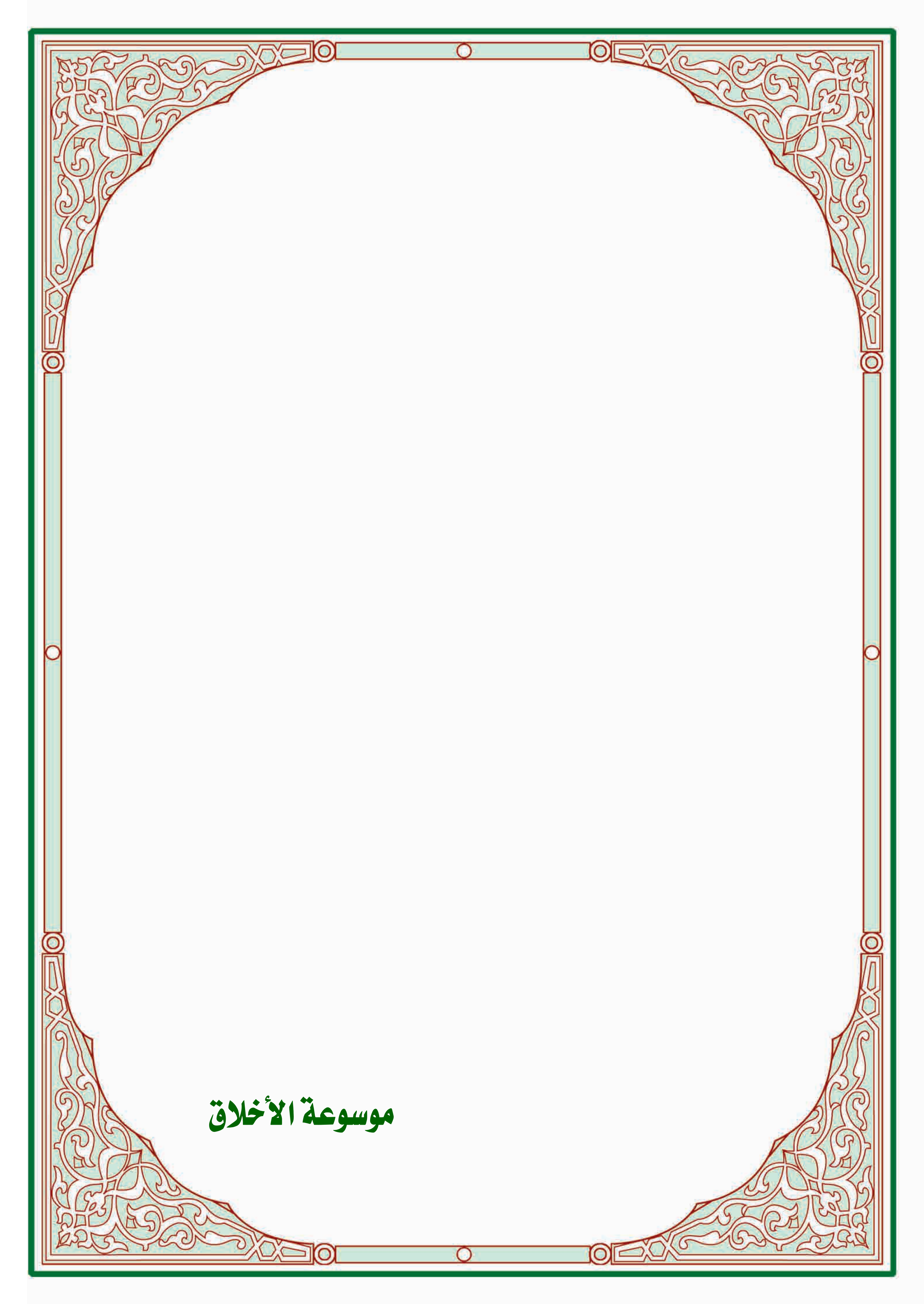
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء الثاني عشر

كَظْم الغَيْظ - المحَبَّة- المُدَارَاة - المُرُوءَة

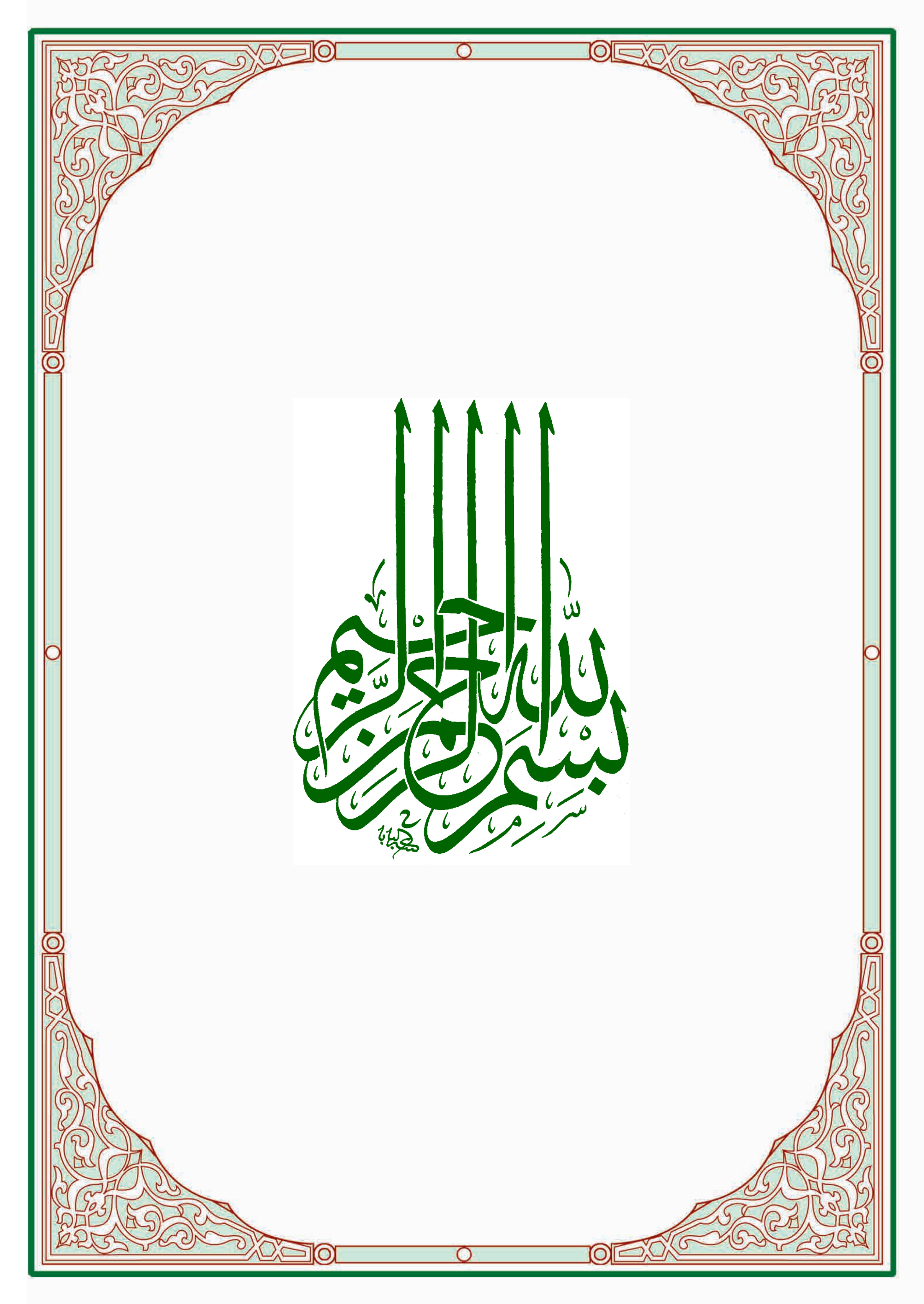
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

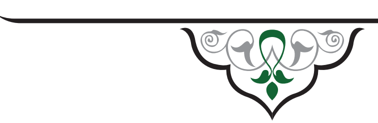
علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة
www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



كَظْم الغَيْظ



كَظْم الغَيْظ

معنى كَظْم الغَيْظ لغةً واصطلاحًا:

• معنى الكَظْم لغةً:

أصل مادة كظم يَدُلُّ على معنًى واحد، وهو الإمساك، والجَمعُ للشَّيء.

وأَصْل الكَظْم: حَبْسُ الشَّيء عن امتلائه، يقال: كَظَمْت القِرْبَة، إذا ملَأْتها.

ويقال: كَظَمْت الْغَيْظ، أَكْظِمُه كَظْمًا، إذا أمْسَكت على ما في نفسك منه[١].

قال المناوي: (الكَظْم: الإمْسَاك على ما في النَّفس من صَفْحٍ أو غَيْظٍ)[٢].

• معنى الغَيْظ لغةً:

الغَيْظ: الغَضَب، وقيل: الغَيْظ غَضَبٌ كامنٌ[٣] للعاجز، وقيل: هو أشدُّ من الغَضَب، وقيل: هو سَوْرَته وأوَّله. وغِظْت فلانًا، أَغِيظُه غَيْظًا. وقد غَاظَه، فاغْتَاظ. وغَيَّظه، فتَغَيَّظ، وهو مَغِيظ[٤].

وقال الأصفهاني: (الغَيْظ: أشدُّ الغَضَب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فَوَرَان دم قلبه)[٥].

---

(١) ((مقاييس اللُّغة)) لابن فارس (٥/١٨٤)، ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) للثَّعلبي (٣/١٦٥)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٥١٩).

(٢) ((التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف)) (ص ٢٨٢).

(٣) كامن: من كَمَنَ يَكمُن، كُمُونًا، فهو كامِن، بمعنى اختفى وتوارى في مكان لا يَفطن له أحد، تقول: (كمن الغيظُ في الصدر) ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٣/١٩٦٠).

(٤) ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/٤٥٠)، وانظر: ((النِّهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣/٤٠٢)، ((جمهرة اللُّغة)) لابن دُريد (٢/٩٣٢)، ((الصِّحاح)) للجوهري (٣/١١٧٦).

(٥) ((المفردات)) (ص ٦١٩).

- **معنى كَظْم الغَيْظ اصطلاحًا:**

كَظْمُ الغَيْظ: تجرُّعه، واحتمال سببه، والصَّبر عليه[1].

ويقال: كَظَم غَيْظَه، أي: سكت عليه، ولم يُظْهِره بقولٍ أو فعلٍ، مع قُدْرته على إيقاعه بعدوِّه[2].

وقال ابن عطيَّة: (كَظْم الغَيْظ: ردُّه في الجَوْف إذا كاد أن يخرج مِن كَثْرَته، فضبطه ومَنَعَه)[3].

الفرق بين الغَيْظ والغَضَب:

قال ابن عطيَّة: (الغَيْظ: أصل الغَضَب، وكثيرًا ما يتلازمان، ولذلك فسَّر بعض النَّاس الغَيْظ بالغَضَب، وليس تحرير الأمر كذلك، بل الغَيْظ: فعل النَّفس، لا يظهر على الجوارح. والغَضَبُ: حالٌ لها معه ظهورٌ في الجوارح، وفعلٌ ما ولا بدَّ، ولهذا جاز إسناد الغَضَب إلى الله تعالى، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يُسْند إليه تعالى غيظٌ)[4].

وقال أبو هلال العسكري: (الفَرْق بين الغَيْظ والغَضَب: أنَّ الإنسان يجوز أن يغْتَاظ مِن نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أنَّ الغَضَب: إرادة الضَّرر للمغضوب عليه. ولا يجوز أن يريد الإنسان الضَّرر لنفسه. والغَيْظ يقرب من باب الغمِّ)[5].

---

(١) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٧٩).

(٢) ((تفسير القرطبي)) (٤/٢٠٦)، ((معجم ديوان الأدب)) لأبي إبراهيم الفارابي (٢/١٨٦).

(٣) ((المحرر الوجيز)) (٣/٢٣٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (١/٥٠٩).

(٥) ((معجم الفروق اللُّغويَّة)) (ص ١٣٠).

الترغيب في كَظْم الغَيْظ:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

قال ابن عاشور: (الكاظمين الغَيْظ، وكَظْم الغَيْظ: إمسَاكه، وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كَظْم القِرْبة إذا مَلَأَها وأمسك فَمَها، قال المبرِّد: فهو تمثيلٌ للإمْسَاك مع الامتلاء، ولا شكَّ أنَّ أقوى القُوَى تأثيرًا على النَّفس القُوَّة الغَاضِبة، فتشتهي إظهار آثار الغَضَب، فإذا استطاع إمْسَاك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دلَّ ذلك على عزيمةٍ راسخةٍ في النَّفس، وقهر الإرادة للشَّهوة، وهذا من أكبر قُوى الأخلاق الفاضلة)[1].

قال الطِّيبي: (وإنَّما حُمِد الكَظْم؛ لأنَّه قهْر للنَّفس الأمَّارة بالسُّوء، ولذلك مدحهم الله- تعالى- بقوله: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومن نهى النَّفس عن هواه، فإنَّ الجنَّة مأواه، والحور العين جزاءه. قلت: وهذا الثَّناء الجميل، والجزاء الجزيل إذا ترتَّب على مجرَّد كَظْم الغَيْظ، فكيف إذا انضَمَّ العَفو إليه، أو زاد بالإحسان عليه)[2].

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصِّلت: ٣٤-٣٥].

(١) ((التَّحرير والتَّنوير)) (٤/٩١).
(٢) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للقاري (٨/٣١٨١).

قال الزَّجَّاج: (وما يُلَقَّى هذه الفِعلة وهذه الحالة -وهي دفع السَّيئة بالحسنة- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كَظْم الغَيْظ، واحتمال المكروه)[١].

- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٦].

قال الطَّبري: (يقول -تعالى ذكره- للمؤمنين: وإن عاقبتم أيُّها المؤمنون مَنْ ظَلَمَكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم مِنْ العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به مِن الظُّلم، ووَكَلْتم أمره إليه، حتى يكون هو المتولِّي عقوبته، ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ يقول: للصَّبر عن عقوبته بذلك، خيرٌ لأهل الصَّبر احتسابًا، وابتغاء ثواب الله؛ لأنَّ الله يعوِّضه مِن الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظُلْمه إيَّاه من لذَّة الانتصار، وهو من قوله ﴿لَهُوَ﴾ كِنَايَة عن الصَّبر، وحُسْن ذلك، وإن لم يكن ذَكَرَ قبل ذلك الصَّبرَ؛ لدلالة قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عليه)[٢].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب))[٣].

قال النَّوويُّ: (فيه كَظْم الغَيْظ، وإمْسَاك النَّفس عند الغَضَب عن الانتصار والمخاصمة والمنازعة)[٤].

---

(١) ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٣٦/٤)، ((تفسير البغوي)) (١٣٤/٤).
(٢) ((تفسير الطبري)) (٣٢٢/١٧).
(٣) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٤) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٦٢/١٦).

قال المناوي: (... ((ليس الشَّديد بالصُّرَعَة)). بضمٍّ، فَفَتْح، مَن يَصْرَع النَّاس كثيرًا، أي: ليس القَوِيُّ من يقدر على صَرْع الأبطال مِن الرِّجال. ((إنَّما الشَّديد)). على الحقيقة. الذي يملك نفسه عند الغَضَب.

أي: إنَّما القويُّ -حقيقةً- الذي كَظَم غَيْظَه عند ثَوَرَان الغَضَب، وقاوَم نفسه، وغَلَب عليها، فحوَّل المعنى فيه من القُوَّة الظَّاهرة إلى الباطنة)[١].

- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من جَرْعَةٍ أعظم أجرًا عند الله، مِن جَرْعَةِ غَيْظٍ كظمها عبد ابتغاء وجه الله))[٢].

والمعنى: (ما مِن جَرْعَةٍ أعظم أجرًا عند الله تعالى مِن جَرْعَة غَيْظٍ، كَظَمَها عبدٌ. مع القُدْرَة على التَّنفيذ، شبَّه جَرْع غَيْظِه وردَّه إلى باطنه بتجرُّع الماء، وهي أحبُّ جَرْعةٍ يتجرَّعها العبد، وأعظمها ثوابًا، وأرفعها درجةً لحَبْس نفسه عن التَّشَفِّي، ولا يحصل هذا العِظَم إلَّا عند القُدْرة على الانتقام، وبكفِّ غضبه لله تعالى، ابتغاء وجه الله تعالى)[٣].

- وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ كظم غيظًا، وهو يستطيع أن يُنفذه، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يخيِّره في أيِّ الحور شاء))[٤]. (لأنَّه قهر النَّفس

---

(١) ((التيسير بشرح الجامع الصَّغير)) للمناوي (٢/٣٢١).

(٢) رواه رواه ابن ماجه (٣٣٩٦) واللفظ له، وأحمد (٢/١٢٨) (٦١١٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/٣١٤) (٨٣٠٧). من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/٣٨٦): رواته محتج بهم في الصحيح ، وحسن إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٤/١٦٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٨/٢٣٦)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٣٣٩٦)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٧٣٣) وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) ((فيض القدير)) للمناوي (٥/٤٧٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترِّمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٣٣٩٤)، وأبو يعلى (٣/٦٦) =

الأمَّارة بالسُّوء، والنَّفس مجبولة -في مثله- على الانتقام، والمجازاة بالإساءة. ولذا كان ذلك مِن آداب الأنبياء والمرسلين، ومِن ثمَّة خدَم أنسٌ المصطفى عشر سنين، فلم يقُل له في شيء فعله: لِمَ فعلته؟ ولا في شيء تركه: لِمَ تركته؟ حتى يخيِّره في أي الحور شاء. فيختار ما شاء منهنَّ)[1].

أقوال السَّلف والعلماء في كَظْم الغَيْظ:

- قال عمر بن الخطَّاب: (مَنْ خاف الله لم يَشْفِ غَيْظه، ومَنْ اتَّقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون)[2].

- وقال ابن عبد البر: (مَن كَظَم غَيْظَه وردَّ غَضَبه، أخزى شيطانه، وسَلِمت مروءته ودينه)[3].

قال الرَّاغب: (الكَظْم يدفع محذور النَّدم، كالماء يُطفئ حرَّ الضَّرم[4]. كَظْمٌ يتردَّد في حلقي، أحبُّ إليَّ من نقص أجده في خُلُقي)[5].

- وقيل: (اصبر على كَظْم الغَيْظ، فإنَّه يُورث الرَّاحة، ويؤمِّن السَّاحة)[6].

- وقال علي رضي الله عنه: (دُمْ على كَظْم الغَيْظ تُحْمد عواقبك)[7].

= (١٤٩٧)، والطَّبراني (٢٠/١٨٩) (٤١٧)، والبيهقي (٨/١٦١) (١٧٠٨٨). قال التِّرمذي: حسن غريب. وقال الذَّهبي في ((المهذَّب)) (٦/٣٢٦٥): فيه أبو مرحوم عبد الرَّحيم ليس بذاك. وضعَّف إسناده ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (٢٨/٤٩٠)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن التِّرمذي)) (٢٠٢١).

(١) ((بريقة محموديَّة)) للخادمي (٣/٤٠٠).

(٢) ((أحكام القرآن)) للجصاص (٢/٤٨).

(٣) ((التمهيد)) لابن عبد البر (٧/٢٥٠).

(٤) حر النار المشتعلة. انظر: ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ١١٣١).

(٥) ((محاضرات الأدباء)) (١/٢٧٧).

(٦) ((صبح الأعشى)) للقلقشندي (١٠/٢١٣).

(٧) ((روض الأخيار)) للأماسي (ص ٣٤٢).

- وقال الغزالي: (كَظْم الغَيْظ عبارة عن التَّحلُّم، أي: تكلُّف الحِلْم، ولا يحتاج إلى كَظْم الغَيْظ إلَّا من هاج غَيْظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوَّد ذلك مدَّةً، صار ذلك اعتيادًا، فلا يهيج الغَيْظ، وإنْ هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وهو الحِلْم الطَّبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوَّة الغَضَب، وخضوعها للعقل)[1].

فوائد كَظْم الغَيْظ[2]:

١- اعتداد الجنَّة له بجعل صاحبه معدًّا ومهيئًا للجنَّة:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٢- عِظَم الأجر به وتوفيره:

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من جَرْعَةٍ أعظم أجرًا عند الله، من جَرْعَة غَيْظٍ كَظَمَها عبد ابتغاء وجه الله)).

٣- خضوع العدو وتعظيمه للذي يكظم غيظه:

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، قال: الصَّبر عند الغَضَب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عظَّمهم عدوُّهم، وخضع لهم.

---

(١) ((إحياء علوم الدِّين)) (٣/١٧٦).

(٢) انظر: ((بدائع السلك)) لابن الأزرق (١/٤٥٥).

٤- دلالة قهر الغَضَب به على الشِّدة النَّافعة

ففي الصَّحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب)).

٥- التَّغلُّب على الشَّيطان:

عن أنس، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم: مرَّ بقوم يَصْطَرِعون، فقال: ((ما هذا؟ فقالوا: يا رسول الله، فلانٌ الصَّريع، لا ينتدِب له أحدٌ إلَّا صَرَعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألَا أدلُّكم على من هو أشدُّ منه؟ رجلٌ ظلمه رجلٌ، فكَظَم غَيْظَه فغلبه، وغلب شيطانه، وغلب شيطان صاحبه))[١].

٦- يعين على ترك الغَضَب:

قال ابن حجر: (استحضار ما جاء في كَظْم الغَيْظ من الفضل يعين على ترك الغَضَب)[٢].

٧- سببٌ في دفع الإساءة بالإحسان، والمكروه بالمعروف، والقهر باللُّطف:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصِّلت: ٣٤-٣٥].

---

(١) رواه البزَّار كما في ((كشف الأستار)) (٢/٤٣٩) (٢٠٥٤)، قال الهيثمي في ((مجمع الزَّوائد)) (٨/٧١): فيه شعيب بن بيان، وعمران القطان، وثقهما ابن حبان، وضعفهما غيره، وبقية رجالهما رجال الصَّحيح. وحسَّن إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٠/٥٣٥)، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (٣٢٩٥).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٥٢١).

الوسائل المعينة على كَظْم الغَيْظ:

١- أن يعرف المرء الأجر المترتِّب على كَظْم الغَيْظ والعفو عن المخطئين، ويستشعر أنَّه بذلك يطلب الأجر والثَّواب من عند الله تبارك وتعالى.

٢- إنَّ رحمة المخطئ والشَّفقة عليه داعيةٌ لكَظْم الغَيْظ، وإخماد نار الغَضَب، وهذا السَّبب قد بيَّنه القرآن الكريم، حيث قال الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣- من الأسباب كذلك أن يربِّي المؤمن نفسه على سعة الصَّدر، فإنَّ سعة الصَّدر تحمل الإنسان على الصَّبر في حال الغَضَب، والعفو عند المقدرة، لذا قيل -قديمًا-: (أحسن المكارم؛ عفو المقْتدر، وجود المفْتقر)[١]، وقبل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ** ﴾ [الشُّورى: ٤٣].

٤- كذلك فإنَّ شرف نفس المرء واتِّصافه بعلوِّ الهمَّة، من الأسباب المؤدِّية إلى كَظْم الغَيْظ، فهو يترفَّع عن التَّلفُّظ بما يُنزل نفسه، ويحطُّ من قدرها:

لن يبلغ المجدَ أقوامٌ وإن كرموا حتى يذِلُّوا وإن عزُّوا لأقوام
ويُشْتموا فترى الألوان مشرقة لا عفو ذُلٍّ ولكن عفو أحلام[٢]

٥- ومن الأسباب كذلك: الحياء من التَّلبُّس بأخطاء المخطئ، ومقابلته فيما يفعل، قال بعض الحكماء: (احتمال السَّفيه خيرٌ من التَّحلِّي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خيرٌ من مُشَاكلته)[٣].

---

(١) ((صيد الأفكار)) لحسين بن محمد المهدي (١/٥٩٠).
(٢) ((اللطائف والظرائف)) للثعالبي (ص ١١٥).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٢٥٣).

قال الشَّاعر:

سألزمِ نفسي الصَّفح عن كلِّ مذنبٍ ... وإن كثرت منه إليَّ الجرائم

فما النَّاس إلَّا واحد من ثلاثة ... شريف ومَشْرُوف ومثلي مُقَاوِمِ

فأمَّا الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ قائم

وأمَّا الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته نفسي وإن لام لائم

وأمَّا الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضَّلت إنَّ الفضل بالفخر لازم[1]

٦- ومن ذلك أيضًا: تعويد النَّفس وتدريبها على خُلُق الصَّبر، فهو خير معين في مواقف الغَضَب.

٧- ومن الأسباب أيضًا: أن يقطع المرء الملاحاة والجدل في مواقف الخصومة، وأن لا يتمادى في السُّباب والشَّتائم، فقد حُكي أنَّ رجلًا قال لضرار بن القعقاع: (والله لو قلت واحدة؛ لسمعت عشرًا! فقال له ضرار: والله لو قلت عشرًا؛ لم تسمع واحدة)[2].

٨- أن يقدِّم المرء مصلحة الاجتماع والأُلفة على الانتقام للنَّفس؛ فإنَّ ذلك يحمِله على كَظم غَيْظه، والتَّنازل عن حقِّه، ولهذا أثنى النَّبي صلى الله عليه وسلم على الحسن رضي الله عنه بقوله: ((ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين))[3].

٩- تذكير النَّفس بما في الانتقام من نفرة القلوب عن المتشفى به، ومن نسبته إلى الخفَّة والطَّيش، وأشدُّ من ذلك على الرؤساء: إعمال الحيلة عليهم

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١٤٢/٢).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٢٥٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٢٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

في طلب الخلاص منهم متى عُرفوا بسرعة البطش ومعالجة الانتقام[1].

نماذج في كَظْم الغَيْظ:

• نماذج في كَظْم الغَيْظ من حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((كنت أمشي مع النَّبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبه جذبةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النَّبي صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدَّة جذبته، ثمَّ قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضحك، ثمَّ أمر له بعطاء))[2].

قال النَّوويُّ: (فيه احتمال الجاهلين، والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السَّيئة بالحسنة، وإعطاء من يُتألَّف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرةٍ -لا حدَّ فيها- بجهله، وإباحة الضَّحك عند الأمور التي يُتعجَّب منها في العادة، وفيه كمال خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحِلمه وصفحه الجميل)[3].

- عن عائشة رضي الله عنها، زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم، أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: ((هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال:

---

(١) ((بدائع السلك في طبائع الملك)) لابن الأزرق (١/١١٣).

(٢) رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٣) ((شرح النَّووي على مسلم)) (٧/١٤٧).

إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني مَلَك الجبال، فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبِق عليهم الأَخْشَبَين؟ فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا))[١].

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث: بيان شفقة النَّبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافقٌ لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])[٢].

- عن عبد الله رضي الله عنه، قال: ((لما كان يوم حنين، آثر النَّبي صلى الله عليه وسلم أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عُيَيْنة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجلٌ: والله إنَّ هذه القسمة ما عُدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله، لأخبرنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته، فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر))[٣].

- **نماذج في كَظْم الغَيْظ من حياة الصَّحابة رضي الله عنهم:**

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

- عن أبي برزة، قال: (كنت عند أبي بكر رضي الله عنه، فتغيَّظ على

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١) واللَّفظ له، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) ((فتح الباري)) (٦/٣١٦).

(٣) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

رجلٍ، فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام، فدخل، فأرسل إليَّ، فقال: ما الذي قلت آنفًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه. قال: أكنت فاعلًا لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم)[١]. قال أحمد بن حنبل: (أي لم يكن لأبي بكر أن يقتل رجلاً إلاَّ بإحدى الثَّلاث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفرٌ بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، وكان للنَّبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل.

قلت: وفيه دليل على أن التعزير ليس بواجب، وللإمام أن يعزِّر فيما يستحق به التأديب، وله أن يعفو فلا يفعل ذلك)[٢].

عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

- عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النَّفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبَّانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عبَّاس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأَذِن له عمر، فلمَّا دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطَّاب! فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغَضِب عمر،

(١) رواه أبو داود (٤٣٦٤)، والنَّسائي (١١٠/٧)، وأحمد (١٠/١) (٦١)، والبزَّار (١١٥/١) (٤٩)، وأبو يعلى (٨٢/١) (٧٩). قال البزَّار: رُوي من وجوه، وهذا أحسن إسناد يُروى. وقال النَّسائي: هذا الحديث أحسن الأحاديث وأجودها. وصحَّح إسناده ابن تيمية في ((الصَّارم المسلول)) (١٩٢/٢)، وأحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٤٧/١)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٣٦٤).

(٢) ((معالم السنن)) للخطابي (٢٩٦/٣).

حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله)[١].

• نماذج من كَظْم الغَيْظ من حياة الأمم السَّابقة:

حبيب النَّجَّار[٢]:

- قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

قال القرطبي: (وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كَظْم الغَيْظ، والحِلم عن أهل الجهل، والتَّرؤف على من أدخل نفسه في غِمار الأشرار وأهل البغي، والتَّشمُّر في تخليصه، والتَّلطُّف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشَّماتة به والدُّعاء عليه. ألَا ترى كيف تمنَّى الخير لقَتَلته، والباغين له الغوائل، وهم كفرةٌ عَبَدَة أصنام)[٣].

• نماذج في كَظْم الغَيْظ من حياة السَّلف:

الفضيل بن بَزْوَان:

- عن أبي رزين قال: جاء رجل إلى الفضيل بن بَزْوَان، فقال: إنَّ فلانًا يقع فيك. فقال: لأغيظنَّ مَن أمره، يغفر الله لي وله. قيل: من أمره؟ قال: الشَّيطان[٤].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٢).
(٢) انظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/٥٧٠)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٧/٥١).
(٣) ((تفسير القرطبي)) (١٥/٢٠).
(٤) ((الزهد والرقائق)) لابن المبارك (١/٢٣٤).

وهب بن مُنَبِّه:

- عن جبير بن عبد الله قال: شهدت وهب بن مُنَبِّه وجاءه رجلٌ، فقال: إنَّ فلانًا يقع فيك. فقال وهب: أما وجد الشَّيطان أحدًا يستخفَّ به غيرك. قال: فما كان بأسرع من أن جاء الرَّجل، فرفع مجلسه وأكرمه[١].

عمر بن عبد العزيز:

ذكر ابن كثير في مناقب عمر بن عبد العزيز: أنَّ رجلًا كلَّمه يومًا حتى أغضبه، فهمَّ به عمر، ثمَّ أمسك نفسه، ثمَّ قال للرَّجل: أردت أن يستفزَّني الشَّيطان بعزَّة السُّلطان، فأنال منك ما تناله منِّي غدًا! قُم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك[٢].

أمثالٌ وحِكمٌ في كَظْم الغَيْظ:

- قالوا: الغَضَب غُول الحِلم. أي: مُهلِكه.

يُضرب في وجوب كَظْم الغَيْظ[٣].

- وقالوا: لا يَصلح رفيقًا من لم يبتلع ريقًا.

يُضرب لمن يكَظْم الغَيْظ[٤].

- وقيل: (كَظْم الغَيْظ حِلمٌ، والحِلم صبرٌ)[٥].

- وقالوا: (ثلاثةٌ من اجتمعن فيه فقد سَعِد: من إذا غَضِب لم يُخرجه غضبه عن الحقِّ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا قَدر عفا)[٦].

---

(١) ((الورع)) لأحمد رواية المروزي (ص ١٩٧).

(٢) ((البداية والنِّهاية)) لابن كثير (٦٩٨/١٢).

(٣) ((المستقصى)) للزمخشري (٣٣٧/١).

(٤) ((مجمع الأمثال)) للميداني (٢٤٢/٢).

(٥) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (٧٦/٢).

(٦) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١٧٦/٣).

- كان سَلَم بن نوفل سيِّد بني كِنَانة، فوثب رجلٌ على ابنه وابن أخيه فجرحهما، فأُتِي به. فقال له: ما أمَّنك من انتقامي؟ قال: فلِمَ سوَّدناك إذًا؟! إلَّا أن تكَظْم الغَيْظ، وتحلُم عن الجاهل، وتحتمل المكروه. فخلَّى سبيله[١].

- وقال رجلٌ من أهل الشَّام للمنصور: يا أمير المؤمنين، مَن انتقم فقد شَفَى غَيْظه وانتصَف، ومن عفا تفضَّل، ومن أخذ حقَّه لم يجب شكره، ولم يُذكر فضله، وكَظْم الغَيْظ حِلمٌ، والتَّشفِّي طرفٌ من الجَزَع، ولم يمدح أهل التُّقى والنُّهى من كان حليمًا بشدَّة العقاب، ولكن بحُسن الصَّفح والاغتفار، وشدَّة التَّغافل[٢].

- قيل: (الكَظْم يدفع محذور النَّدم، كالماء يُطفئ حرَّ الضَّرم. كَظْمٌ يتردَّد في حلقي، أحبُّ إليَّ من نقصٍ أجده في خُلُقي)[٣].

- أربع خصال من حُسْن النَّظر: الرِّضا بالزَّوجة الصَّالحة، وغضُّ البصر، والإقدام على الأمر بمشاورة، وكَظْم الغَيْظ[٤].

- وقال الأحنف: (قوَّة الحِلم على الغَضَب أفضل من قوَّة الانتقام)[٥].

- وقال: (كنَّا نعدُّ المروءة: الصَّبر على كَظْم الغَيْظ، ومن لم يصبر على كلمة، سمع كلمات)[٦].

---

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٢/١٤٦).
(٢) ((زهر الآداب)) للقيراوني (٣/٨٣٨).
(٣) ((محاضرات الأدباء)) للرَّاغب الأصفهاني (١/٢٧٧).
(٤) ((المصدر السابق)) (٢/٧٤٦).
(٥) ((ربيع الأبرار)) للزَّمخشري (٢/٢٢١).
(٦) ((المصدر السابق)) (٢/٢٢١).

كَظْم الغَيْظ في واحة الشِّعر:

قال العَرْجِيُّ:

وإذا غَضِبتَ فكن وقورًا كاظمًا ... للغيظ تُبصر ما تقول وتسمعُ

فكفَى به شرفًا تصبُّر ساعةٍ ... يَرضى بها عنك الإله وتُرفعُ

أي: يَرفع قدرك[١].

وقال آخر:

إذا المرء لم يحمل على النَّفس ضَيْمها[٢] ... فليس إلى حسنِ الثَّناء سبيلُ

يقول: إذا المرء لم يحمل ظُلم نفسه عليها، ولم يصبِّرها على مكارهها، فليس له طريقٌ إلى الثَّناء الحسن. وهذا يشير إلى كَظْم الغَيْظ، واستعمال الحِلم، وترك الظُّلم والبغي مع ذويه، والصَّبر على المشاقِّ، وإهانة النَّفس في طلب الحقوق؛ لأنَّ من تعوَّد هذه الأشياء، عَلا ذكره، وحَسُن ثناؤه[٣].

وقال آخر:

وكَظْمُهمو للغَيْظ عند استِعَارِه ... إذا عزَّ بين النَّاس كَظْم المغائظِ

وأخلاقُهم محمودةٌ إن خبرتها ... فليست بأخلاقٍ فظاظٍ غلائظِ

تحلَّوْا بآدابِ الكتابِ وأحسنوا التَّـ ... ـفكر في أمثاله والمواعظِ

ففاضت على الصَّبر الجميل نفوسهم ... سلامٌ على تلك النُّفوسِ الفَوائظِ[٤]

وقال مَعْد بن أوس:

وصبري على أشياء منه تُريبني ... وكظمي على غيظي وقد ينفع الكَظْمُ

(١) ((الكشف والبيان)) للثعلبي (٣/١٦٦).

(٢) الضيم: هو الظلم. ((مختار الصحاح)) للرازي (١/١٨٧).

(٣) ((شرح ديوان الحماسة)) للمرزوقي (ص ٨٣).

(٤) ((موارد الظمآن لدروس الزَّمان)) لعبد العزيز السلمان (٥/٢٦٥).

لأستلَّ منه الضغنَ حتى استللته وقد كان ذا ضغنٍ يضيق به الجِرْمُ
رأيتُ انثلامًا[١] بيننا فرقعتُه برفقي وإحيائي وقد يُرقع الثلْمُ
وأبرأتُ غِلَّ الصَّدر منه توسُّعًا بحلمي كما يُشفَى بأدوية سَقَمُ[٢]

وقال آخر:

واصفح عن العوراء إن قَلَّت وَعُدْ بالحِلْم منك على السَّفيه المعْور
وكِل المسيءَ إلى إساءته ولا تتعقَّبِ الباغي ببغيٍ تُنصر
وادفعْ بكَظْم الغَيْظ آفةَ غَيِّه فإنِ استخفَّك مرَّةً فاستغفر[٣]

وقال آخر:

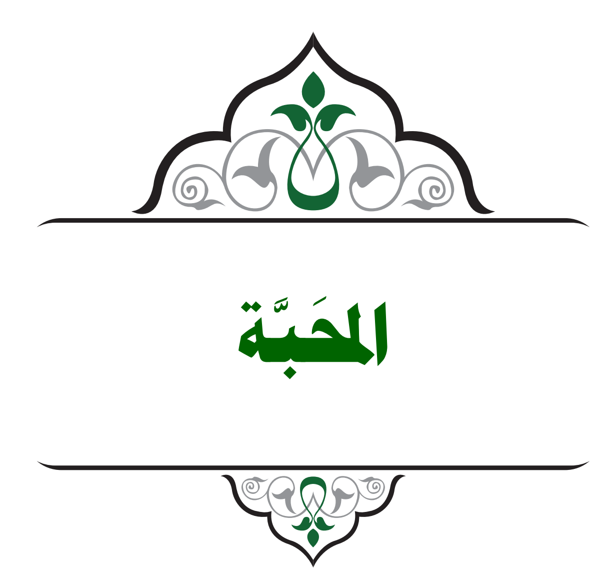
وكنتُ إذا الصَّديقُ أراد غَيْظي وشرَّقني على ظمأ بريقي
غفرتُ ذنوبَه وكَظَمت غَيْظي مخافةَ أن أعيش بلا صديقِ[٤]

وقال آخر:

اتَّضعْ للنَّاسِ إن رُمت العُلا واكَظمِ الغَيْظ ولا تُبدي الضَّجر
واجعلِ المعروفَ ذُخرًا إنَّه للفتَى أفضل شيء يُدَّخر
احملِ النَّاس على أخلاقهم فبه تملك أعناقَ البَشَر[٥]



(١) الثلمة، بالضم: فرجة المكسور والمهدوم، وهو الموضع الذي قد انثلم، والجمع ثلم.
وقيل: الثلمة: الخلل في الحائط وغيره. ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٥٧/٣١).
(٢) ((أمالي القالي)) (١٠٣/٢).
(٣) ((الحماسة المغربية)) للجراوي (١٢٧٥/٢).
(٤) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ١٣٢).
(٥) ((مجاني الأدب)) لرزق الله شيخو (١٢٨/٣).



المحَبَّة

المحبَّة

معنى المحبَّة لغةً واصطلاحًا:

- **معنى المحبَّة لغةً:**

المحبة: الحبُّ، وهو نقيضُ البغْضِ. وأصل هذه المادة يدلُّ على اللُّزوم وَالثَّبات، واشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه، تقول: أحبَبْتُ الشَّيْء فَأنا مُحِبٌّ وَهو مُحَبٌّ[١].

- **معنى المحبَّة اصطلاحًا:**

(المحبَّة: الميل إِلَى الشَّيْء السار)[٢].

وقال الراغب: (المحبَّة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا)[٣].

وقال الهروي: (المحبَّة: تعلق القلب بين الهمة والأنس، فِي البَذْل وَالمنْع على الإِفْرَاد)[٤].

الفرق بين المحبَّة وبعض الصفات:

- **الفرق بين الإرادة والمحبَّة:**

(أَن المحبَّة تجري على الشَّيء، ويكون المراد به غيره، وليس كذلك الإرادة، تقول: أحببت زيدًا. والمراد أنَّك تحب إكرامه ونفعه، ولا يقال: أردت زيدًا بهذا المعنى، وتقول: أحبُّ الله، أي: أحبُّ طاعته، ولا يقال: أريده. بهذا المعنى،

(١) ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٤/٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٢٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٢٩٠).

(٢) ((المعجم الوسيط)) (ص ١٥١).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٢٥٦).

(٤) ((منازل السائرين)) (ص ٨٨).

فجعل المحبَّة لطاعة الله محبَّة له، كما جعل الخوف من عقابه خوفًا منه.

والمحبَّة أيضا تجري مجرى الشَّهوة؛ فيقال: فلان يحبُّ اللَّحم، أي: يشتهيه، وتقول: أكلت طعامًا لا أحبه، أي: لا أشتهيه، ومع هذا فإن المحبَّة هي الإرادة)[١].

- **الفرق بين المحبَّة والشهوة:**

(الشَّهوة توقان النَّفس، وميل الطباع إلى المشتهى، وليست من قبيل الإرادة، والمحبَّة من قبيل الإرادة، ونقيضها البغضة، ونقيض الحبِّ البغض، والشهوة تتعلَّق بالملاذ فقط، والمحبَّة تتعلَّق بالملاذ وغيرها)[٢].

- **الفرق بين المحبَّة والصداقة:**

(أنَّ الصَّداقة قوَّة المودَّة، مأخوذة من الشَّيء الصدق، وهو الصلب القوي، وقال أبو علي رحمه الله: الصَّداقة اتفاق القلوب على المودَّة، ولهذا لا يقال: إن الله صديق المؤمن، كما يقال: إنَّه حبيبه وخليله)[٣].

- **الفرق بين الحبِّ والودِّ:**

(أن الحبَّ يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة جميعًا، والودُّ ميل الطباع فقط، ألا ترى أنَّك تقول: أُحبُّ فلانًا وأوده. وتقول: أُحبُّ الصَّلاة. ولا تقول: أودُّ الصَّلاة. وتقول: أودُّ أنَّ ذلك كان لي. إذا تمنيت وداده، وأودُّ الرجل ودًّا ومودة، والودُّ الوديد، مثل الحبُّ وهو الحبيب)[٤].

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (١/١٢١).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((المصدر السابق)).

• الفرق بين المحبَّة والعشق:

(أن العشق شدَّة الشَّهوة لنيل المراد من المعشوق إذا كان إنسان، والعزم على مواقعته عند التَّمكُّن منه، ولو كان العشق مفارقًا للشهوة، لجاز أن يكون العاشق خاليًا من أن يشتهي النَّيل ممَّن يعشقه، إلَّا أنه شهوة مخصوصة لا تفارق موضعها، وهي شهوة الرجل للنيل ممَّن يعشقه، ولا تسمى شهوته لشرب الخمر، وأكل الطِّيب عشقًا، والعشق أيضًا هو الشَّهوة الَّتي إذا أفرطت وامتنع نيل ما يتعلَّق بها قتلت بها صاحبها، ولا يقتل من الشَّهوات غيرها، ألا ترى أن أحدًا لم يمت من شهوة الخمر والطَّعام والطِّيب، ولا من محبَّة داره، أو ماله، ومات خلق كثير من شهوة الخلوة مع المعشوق، والنيل منه)[1].

أهمية المحبَّة:

قال الرّاغب: (لو تحابَّ النَّاس، وتعاملوا بالمحبَّة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبَّة يُستعمل حيث لا توجد المحبَّة، ولذلك عظَّم الله تعالى المنَّة بإيقاع المحبَّة بين أهل الملَّة، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦] أي: محبَّة في القلوب، تنبيها على أنَّ ذلك أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة؛ لأنَّ المهابة تنفِّر، والمحبَّة تؤلِّف، وقد قيل: طاعة المحبَّة أفضل من طاعة الرَّهبة، لأنَّ طاعة المحبَّة من داخل، وطاعة الرَّهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكلُّ قوم إذا تحابُّوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا عمَّروا وبورك لهم)[2].

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (١/١٢١).

(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٢٥٧).

المحبة في الكتاب والسنة:

أولًا: المحبة في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

(قال قتادة: ذكر لنا أنَّ كعبًا كان يقول: إنَّما تأتي المحبَّة من السَّماء.

قال: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبدًا قذف حبَّه في قلوب الملائكة، وقذفته الملائكة في قلوب النَّاس، وإذا أبغض عبدًا فمثل ذلك، لا يملكه بعضهم لبعض)[١].

(وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: حُبًّا[٢].

وقال مجاهد، عنه: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: محبَّةً في النَّاس في الدُّنْيا[٣].

وقال سعيد بن جبيرٍ، عنه: يُحبُّهم ويُحبِّبهم، يَعنِي: إِلى خلقه الْمُؤمنين)[٤].

وقال ابن عباس: (محبَّةً في النَّاس في الدُّنيا)[٥].

وقال مجاهد: (محبَّةً في المسلمين في الدُّنيا)[٦].

وقال مقاتل: (يقول يجعل محبتهم في قلوب المؤمنين فيحبونهم)[٧].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في ((تفسيره)) (٢٤٨/١).

(٢) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٢٦٢/١٨).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢٦١/١٨).

(٤) ((تفسير ابن كثير)) (٢٦٩/٥).

(٥) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٢٦١/١٨).

(٦) ((المصدر السابق)) (٦٤٢/١٥).

(٧) ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٦٤٠/٢).

- وقال جلَّ في علاه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩].

قال الطبري: (عن عكرمة قال: حسنًا وملاحةً، قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصَّواب من القول في ذلك أن يقال: إنَّ اللَّه ألقى محبَّته على موسى، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ فحبَّبه إلى آسية امرأة فرعون، حتَّى تبنَّته وغذَّته وربَّته، وإلى فرعون، حتَّى كفَّ عنه عاديته وشرَّه. وقد قيل: إنَّما قيل: وألقيت عليك محبّةً منِّي، لأنَّه حبَّبه إلى كلِّ من رآه)[1].

وقال أيضًا: (قال ابن عبَّاس: حبَّبتك إلى عبادي، وقال الصِّدائي: حبَّبتك إلى خلقي. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أي حسَّنت خلقك)[2].

وقال الشوكاني: (وألقيت عليك محبَّةً منِّي أي: ألقى اللَّه على موسى محبَّةً كائنةً منه تعالى في قلوب عباده لا يراه أحد إلَّا أحبَّه وقيل: جعل عليه مسحةً من جمال لا يراه أحد من النَّاس إلَّا أحبَّه. وقال ابن جرير: المعنى وألقيت عليك رحمتي، وقيل: كلمة من متعلِّقة بألقيت، فيكون المعنى: ألقيت منِّي عليك محبَّةً، أي: أحببتك، ومن أحبَّه اللَّه أحبَّه النَّاس)[3].

و(عن ابن عبّاس في قوله: وألقيت عليك محبَّةً منِّي قال: كان كلُّ من رآه ألقيت عليه منه محبَّته[4]. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل قال: حبَّبتك إلى عبادي)[5].

---

(١) ((جامع البيان)) (١٦/٥٨).
(٢) ((المصدر السابق)) (١٦/٥٨).
(٣) ((فتح القدير)) (٣/٤٣١).
(٤) رواه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٧/٢٤٢٢).
(٥) ((فتح القدير)) للشوكاني (٣/٤٣٣).

ثانيًا: المحبة في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى النَّبي عليه السلام فقال: يا رسول اللَّه، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا، ولم يلحق بهم؟ فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحبَّ))(١).

قال ابن بطال: (فدلَّ هذا أنَّ من أحبَّ عبدًا في الله، فإنَّ الله جامع بينه وبينه في جنته ومُدخِله مُدخَله، وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (ولم يلحق بهم). يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى - والله أعلم - أنه لما كان المحبُّ للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبَّة عملًا من أعمال القلوب واعتقادًا لها، أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين؛ إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء)(٢).

وقال النووي: (فيه فضل حبِّ اللَّه ورسوله صلى اللَّه عليه وسلم والصَّالحين وأهل الخير الأحياء والأموات)(٣).

قال العظيم آبادي: (يعني من أحبَّ قومًا بالإخلاص يكون من زمرتهم، وإن لم يعمل عملهم؛ لثبوت التَّقارب بين قلوبهم، وربَّما تؤدِّي تلك المحبَّة إلى موافقتهم، وفيه حثٌّ على محبَّة الصُّلحاء والأخيار، رجاء اللِّحاق بهم والخلاص من النَّار)(٤).

وقال السعدي: (هذا الحديث فيه: الحث على قوة محبة الرسل، واتباعهم بحسب مراتبهم، والتحذير من محبة ضدهم؛ فإنَّ المحبَّة دليل على قوة اتصال

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).
(٢) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٣٣٣/٩).
(٣) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٨٦/١٦).
(٤) ((عون المعبود)) (٢٥/١٤).

المحب بمن يحبه، ومناسبته لأخلاقه، واقتدائه به، فهي دليل على وجود ذلك، وهي أيضًا باعثة على ذلك)[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، ((أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكًا فلمَّا أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنِّي أحببته في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإنِّي رسول الله إليك، بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه))[٢].

قال النووي: (في هذا الحديث فضل المحبَّة في اللَّه تعالى وأنَّها سبب لحبِّ اللَّه تعالى العبد)[٣].

وأيضًا فيه: (دليل على عظم فضل الحب في الله والتزاور فيه)[٤].

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده، وقال: ((يا معاذ، واللَّه إنِّي لأُحبُّك، واللَّه إنِّي لأُحبُّك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول: اللَّهمَّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك))[٥].

قال العظيم آبادي: (... ((أخذ بيده)). كأنَّه عقد محبَّة وبيعة مودَّة. ((واللَّه إنِّي لأحبُّك)). لامه للابتداء، وقيل للقسم، وفيه أنَّ من أحبَّ أحدًا

(١) ((بهجة قلوب الأبرار)) (ص١٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٣) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٦/١٢٤).

(٤) ((تطريز رياض الصالحين)) لفيصل المبارك (ص٢٤٧).

(٥) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٥/٢٤٤) (٢٢١٧٢). قال الحاكم (١/٤٠٧): صحيح على شرط الشيخين. وصحح إسناده النووي في ((الخلاصة)) (١/٤٦٨)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٧٩٦٩).

يستحبُّ له إظهار المحبَّة له. فقال: ((أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ)). إذا أردت ثبات هذه المحبَّة فلا تتركنَّ. ((في دبر كلِّ صلاة)). أي: عقبها وخلفها أو في آخرها)[1].

وقال ابن عثيمين: (وهذه منقبة عظيمة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، أنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم أقسم أنه يحبُّه، والمحبُّ لا يدَّخر لحبيبه إلا ما هو خير له)[2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تدخلون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أولا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم))[3].

قال النووي: (فقوله صلى اللَّه عليه وسلم: ((ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا)). معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلَّا بالتَّحابِّ)[4].

وقال ابن عثيمين: (ففي هذا دليل على أن المحبَّة من كمال الإيمان، وأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحبَّ أخاه، وأنَّ من أسباب المحبَّة أن يفشي الإنسان السلام بين إخوانه، أي يظهره ويعلنه، ويسلم على من لقيه من المؤمنين، سواء عرفه أو لم يعرفه، فإن هذا من أسباب المحبَّة، ولذلك إذا مرَّ بك رجل وسلم عليك أحببته، وإذا أعرض؛ كرهته ولو كان أقرب الناس إليك)[5].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ((عون المعبود)) (٤/٢٦٩).
(٢) ((شرح رياض الصالحين)) (٥/٥٠٢).
(٣) رواه مسلم (٥٤).
(٤) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٢/٣٦).
(٥) ((شرح رياض الصالحين)) (٣/٢٦٥).

((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله... وذكر منهم... ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه))[١].

أقوال السلف والعلماء في المحبَّة:

- عن أبي حيَّان التيمي قال: (رؤي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثوب كأنه كان يكثر لبسه، فقيل له فيه. فقال: هذا كسانيه خليلي وصفيِّي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، إنَّ عمر ناصح الله فنصحه)[٢].

- وعن مجاهد قال: (مرَّ على عبد الله بن عباس رجل فقال: إنَّ هذا يحبني. فقيل: أنَّى علمت ذلك؟ قال: إني أحبُّه)[٣].

- وعن سفيان بن عيينة، قال: (سمعت مساور الورَّاق يحلف بالله عزَّ وجلَّ ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله عزَّ وجلَّ فأمنعه شيئًا من الدنيا)[٤].

- وقال ابن تيمية: (إنَّك إذا أحببت الشخص لله، كان الله هو المحبوب لذاته، فكلَّما تصورته في قلبك، تصوَّرت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبُّك لله، كما إذا ذكرت النَّبي صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإنَّ ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله، المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله. فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحبُّ لله إذا أحبَّ شخصًا لله، فإن الله هو محبوبه، فهو يحبُّ أن يجذبه إلى الله تعالى، وكلٌّ من المحبِّ لله والمحبوب لله يجذب إلى الله)[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).
(٢) ((المصنف)) لابن أبي شيبة (٦/٣٥٦).
(٣) ((الإخوان)) لابن أبي الدنيا (ص ١٢٧).
(٤) ((مكارم الأخلاق)) لابن أبي الدنيا (ص ٩٣).
(٥) ((مجموع الفتاوى)) (١٠/٦٠٨).

- وقال: (واعجبًا لمن يدَّعي المحبَّة! ويحتاج إلى من يذِّكره بمحبوبه فَلَا يذكرهُ إِلَّا بمذكر. أقل ما في المحبَّة أَنَّها لَا تنسيك تذكُّر المحبوب)[1].

- وقال أيضًا: (إذا سَافر المحب للقاء محبوبه ركبت جُنُوده مَعَه، فَكَانَ الحبُّ فِي مُقَدَّمة العسكر، والرجاء يحدُو بالمطي، والشوق يسوقها، والخوف يجمعها على الطَّرِيق، فإذا شَارف قدوم بلد الوصل خرجت تقادم الحبيب باللقاء)[2].

- و(قال أبو بكر الورَّاق: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحبِّ، ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرَّك لإشراقها طبائع الحياة، فيتصوَّر من ذلك خلق حاضر للنفس، متصل بخواطرها، يسمى الحبَّ)[3].

- وقال الثعالبي: (المحبَّة أريحية منتفثة من النفس نحو المحبوب، لأنَّها تغذو الروح وتضني البدن، ولأنَّها تنقل القوى كلها إلى المحبوب بالتحلي بهيئته، والتمنِّي بحقيقته، بالكمال الذي يشهد فيه)[4].

- وقال أيضًا: (المحبَّة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسُلَّم إلى كلِّ شيء وإن علا)[5].

- وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: (حقيقة المحبَّة لا يزيدها البرُّ ولا ينقصها الجفاء)[6].

---

(١) ((الفوائد)) لابن قيم الجوزية (ص ٧٧).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١٦٧/٢).
(٤) ((المقابسات)) لأبي حيان التوحيدي (ص ٣٦٤).
(٥) ((سحر البلاغة)) لأبي منصور الثعالبي (ص ١٣٠).
(٦) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (٤١١/٢).

- وقال الجنيد: (إذا صحَّت المحبَّة سقطت شروط الأدب)[١].

- (وقال رجل لشهر بن حوشب: إني لأحبُّك قال: ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله، ووزيرك على دين الله، ومؤنتي على غيرك)[٢].

- (وقال آخر: من جمع لك مع المودَّة الصادقة رأيًا حازمًا، فاجمع له مع المحبَّة الخالصة طاعة لازمة)[٣].

- وقال الجاحظ: (ينبغي لمحبِّ الكمال أن يعوِّد نفسه محبَّة النَّاس، والتَّودُّد إليهم، والتَّحنُّن عليهم، والرَّأفة والرَّحمة لهم، فإنَّ النَّاس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الإنسانيَّة، وحلية القوَّة الإلهيَّة هي في جميعهم، وفي كلِّ واحد منهم، وهي قوَّة العقل، وبهذه النَّفس صار الإنسان إنسانًا)[٤].

فوائد المحبَّة[٥]:

١- دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- المحبَّة تغذِّي الأرواح والقلوب وبها تقرُّ العيون، بل إنَّها هي الحياة الَّتي يعدُّ من حرم منها من جملة الأموات.

٣- تظهر آثار المحبَّة عند الشَّدائد والكربات.

٤- من ثمار المحبَّة النَّعيم والسُّرور في الدُّنيا، الموصِّل إلى نعيم وسرور الآخرة.

٥- محبَّة النَّاس مع التَّودُّد إليهم تحقَّق الكمال الإنسانيِّ لمن يسعى إليه.

---

(١) ((لباب الآداب)) لأسامة بن منقذ (ص ٢٣١).

(٢) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (١٥/٣).

(٣) ((المصدر السابق)) (١٦/٣).

(٤) ((تهذيب الأخلاق)) المنسوب للجاحظ (ص ٥٥).

(٥) ((نضرة النعيم)) (٣٣٥٦/٨).

٦- محبَّة الإخوان في الله من محبَّة الله ورسوله.

٧- التَّحابُّ في الله يجعل المتحابِّين في الله من الذين يستظلُّون بظلِّ الله تعالى يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه.

٨- لا يكتمل إيمان المرء إلَّا إذا تحقَّق حبَّه لأخيه ما يحبُّه لنفسه، وفي هذا ما يخلِّصه من داء الأنانيَّة.

٩- أن يستشعر المرء حلاوة الإيمان فيذوق طعم الرِّضا وينعم بالرَّاحة النَّفسيَّة.

أقسام المحبَّة:

قسم بعض أهل العلم المحبَّة إلى أنواع، كابن حزم، وابن القيم، وغيرهم من العلماء، فابن حزم قسمها إلى تسعة أنواع، قال: (المحبَّة ضروب:

١- فأفضلها: محبة المتحابين في الله عزَّ وجلَّ، إما لاجتهاد في العمل، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان.

٢- ومحبة القرابة.

٣- ومحبة الألفة في الاشتراك في المطالب.

٤- ومحبة التصاحب والمعرفة.

٥- ومحبة البر؛ يضعه المرء عند أخيه.

٦- ومحبة الطمع في جاه المحبوب.

٧- ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره.

٨- ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر.

٩- ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس.

فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها، وزائدة بزيادتها، وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها، فاترة ببعدها)[1].

وقسمها ابن القيم إلى أربعة أنواع وهي محبة الله، ومحبة ما يحب الله، والمحبة مع الله وهي المحبة الشركية، والحب لله وفي الله، وهي من لوازم محبة ما يحب، ثم ذكر نوعًا خامسًا، وهي المحبَّة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تُذمُّ إلا إذا ألهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته[2].

وقسم الراغب الأصفهاني المحبَّة بحسب المحبين فقال: (المحبَّة ضربان:

١- طبيعي: وذلك في الإنسان وفي الحيوان...

٢- اختياري: وذلك يختص به الإنسان... وهذا الثاني أربعة أضرب:

أ- للشهوة، وأكثر ما يكون بين الأحداث.

ب- للمنفعة، ومن جنسه ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعة المهنية وأصحاب المذاهب.

ج- مركب من الضربين، كمن يحبُّ غيره لنفع، وذلك الغير يحبه للشهوة.

د- للفضيلة، كمحبة المتعلم للعالم، وهذه المحبَّة باقية على مرور الأوقات، وهي المستثناة بقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

---

(١) ((طوق الحمامة)) لابن حزم (ص٩٥) بتصرف يسير.

(٢) انظر: ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص١٨٩).

وأما الضروب الأُخر: فقد تطول مدتها وتقصر بحسب طول أسبابها وقصرها)[١].

مراتب المحبَّة[٢]:

قسم العلماء المحبَّة إلى مراتب عديدة، ومن هؤلاء العلماء ابن قيِّم الجوزية الذي أوصلها إلى عشر مراتب، وهي كما يلي:

أوَّلها: العلاقة، وسمِّيت علاقةً لتعلُّق القلب بالمحبوب.

الثَّانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثَّالثة: الصَّبابة، وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرَّابعة: الغرام، وهو الحبُّ اللَّازم للقلب، الذي لا يفارقه، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه.

الخامسة: الوداد، وهو صفو المحبَّة.

السَّادسة: الشَّغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبَّه إلى شغاف قلبه، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الحبُّ المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره.

الثاني: الحبُّ الواصل إلى داخل القلب.

الثالث: أنَّه الحبُّ الواصل إلى غشاء القلب. والشِّغاف غشاء القلب إذا وصل الحبُّ إليه باشر القلب.

---

(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص٢٥٦) بتصرف يسير.

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٢٩-٣٢) بتصرف.

السَّابعة: العشق، وهو الحبُّ المفرط، الَّذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التَّتيُّم، وهو التَّعبُّد، والتَّذلُّل.

التَّاسعة: التَّعبُّد وهو فوق التَّتيُّم، فإنَّ العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقَّه، فلم يبقَ له شيء من نفسه ألبتَّة، بل كلُّه عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا، وهذا هو حقيقة العبوديَّة. ومن كمَّل ذلك فقد كمَّل مرتبتها.

العاشرة: مرتبة الخلَّة الَّتي انفرد بها الخليلان، إبراهيم ومحمَّد صلى اللَّه عليهما وسلم.

الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها:

للمحبة أسباب جالبة لها، توجب لك المحبَّة في قلوب الآخرين؛ نذكر منها ما يلي:

١- خدمة الآخرين والسعي لمنفعتهم.

٢- تقديم الهدية للآخرين.

٣- التواضع للآخرين.

٤- الإحسان إلى الآخرين.

٥- التحلِّي بصفة الصمت.

٦- البشاشة والابتسامة.

٧- البدء بالسلام.

٨- الجود والكرم.

٩- الابتعاد عن الحسد.

١٠- التعامل بصدق وأمانة.

١١- الوفاء بالعهد.

١٢- زيارة الآخرين وتفقد أحوالهم.

١٣- إنزال الناس منازلهم.

١٤- الالتزام بالأخلاق الإسلامية.

وقال ابن حمدون: (عشر يورثن المحبَّة: كثرة السَّلام، واللطف بالكلام، واتباع الجنائز، والهدية، وعيادة المرضى، والصدق، والوفاء، وإنجاز الوعد، وحفظ المنطق، وتعظيم الرِّجال)[1].

نماذج في المحبَّة:

• نماذج تطبيقية من حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال: ((يا معاذ، والله إنِّي لأحبُّك، والله إنِّي لأحبُّك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[2].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: رأى النَّبي صلى الله عليه وسلم النِّساء والصِّبيان مقبلين -قال: حسبت أنَّه قال: من عرس- فقام النَّبي صلى الله عليه وسلم مُمْثِلًا فقال: ((اللهمَّ أنتم من أحبِّ النَّاس إليَّ. قالها ثلاث مرار))[3].

---

(١) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٢/٢٢٥).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٥/٢٤٤) (٢٢١٧٢). قال الحاكم (١/٤٠٧): صحيح على شرط الشيخين. وصحح إسناده النووي في ((الخلاصة)) (١/٤٦٨)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٧٩٦٩).

(٣) رواه البخاري (٣٧٨٥)، ومسلم (٢٥٠٨).

- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يا أبا ذرٍّ، إنِّي أراك ضعيفًا، وإنِّي أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تولَّينَّ مال يتيم))[١].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حُبِّب إليَّ: النِّساء والطِّيب، وجعل قرَّة[٢] عيني في الصَّلاة))[٣].

- وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ حدَّث عن النَّبي صلى الله عليه وسلم: أنَّه كان يأخذه والحسن فيقول: ((اللهمَّ أحبَّهما فإنِّي أحبُّهما))[٤].

- وعن عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفيَّة وسودة، والحزب الآخر أمُّ سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون قد علموا حبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هديَّة يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخَّرها، حتَّى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة بعث صاحب الهديَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، فكلَّم حزب أمِّ سلمة فقلن لها: كلِّمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلِّم النَّاس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديَّة فليهدها حيث كان من بيوت نسائه،

(١) رواه مسلم (١٨٢٦).
(٢) يعبر بها عن المسرة، ورؤية ما يحب الإنسان. ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) (٥/١٠٠).
(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (٣/١٢٨) (١٢٣١٥). قال الحاكم (٢/١٧٤): صحيح على شرط مسلم. وجوَّد إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (ص٤٦٦)، وحسن إسناده ابن حجر في ((التلخيص الحبير)) (٣/٢٥٤).
(٤) رواه البخاري (٣٧٣٥).

فكلَّمته أمُّ سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: فكلِّميه. قالت: فكلَّمته حين دار إليها أيضًا، فلم يقل لها شيئًا. فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: كلِّميه حتَّى يكلِّمك. فدار إليها فكلَّمته، فقال لها: لا تؤذيني في عائشة؛ فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلَّا عائشة. قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثمَّ إنَّهنَّ دعون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: إنَّ نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر. فكلَّمته، فقال: يا بنيَّة، ألا تحبِّين ما أحبُّ؟ قالت: بلى. فرجعت إليهنَّ فأخبرتهنَّ، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع...))[1].

حكم وأمثال في المحبَّة:

- أفضل المحبَّة ما كان بعد المعتبة[2].
- وقالوا: لا يكن حبُّك كلفًا، ولا بغضك سرفًا[3].
- أبرُّ من الْهِرَّة: قَالُوا لِأَنَّهَا تَأْكُل أَوْلَادهَا من المحبَّة[4].
- قَوْلهم: من يبغ فِي الدِّين يصلف: مَعْنَاهُ من يطْلب الدُّنْيَا بِالدِّينِ لم يحظ عِنْد النَّاس وَلم يُرْزق مِنْهُم المحبَّة[5].
- وقيل: أغلب المحبَّة ما كان عن تشاكل[6].

(١) رواه البخاري (٢٥٨١).
(٢) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (١٢/٢).
(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١٦٨/٢).
(٤) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (٢٤٣/١).
(٥) المصدر السابق (٢٤٨/٢).
(٦) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (٨/٢).

المحبَّة في واحة الشعر:

وقال ابن زهر الحفيد:

يا مَن يُذكِّرني بعهد أحبَّتي ... طاب الحديثُ بذكرهم ويطيبُ
أعِدِ الحديثَ عليَّ من جنباتِه ... إنَّ الحديث عن الحبيب حبيبُ
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها ... قلبٌ إذا ذكر الحبيب يذوبُ
ما زال يضرب خافقًا بجناحه ... يا ليت شعري هل تطير قلوب[1]

وأنشد بعضهم:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت ... إلا وحبُّك مقرونٌ بأنفاسي
ولا جلستُ إلى قومٍ أُحدِّثُهم ... إلا وأنت حديثي بين جُلَّاسي[2]

وقال آخر:

يَا منية الْقلب مَا جيدي[3] بمنعطف ... إِلَى سواكم ولا حَبْلِي بمنقاد
لولا المحبَّة ما استعملت بارقة ... وَلَا سَأَلت حمام الدوح إسعادي
ولا وقفت على الوادي أسائله ... بالدمع حَتَّى رثى لي سَاكن الْوَادي[4]

وقال أبو تراب النخشبي:

لا تخدعنَّ فللمحبِّ دلائلُ ... ولديه من تحفِ الحبيبِ وسائلُ
منها تنعمُه بمرِّ بلائه ... وسروره في كلِّ ما هو فاعلُ
فالمنعُ منه عطيةٌ مقبولةٌ ... والفقر إكرام وبرٌّ عاجلُ

---

(١) ((نفح الطيب)) لأحمد المقري (٣/٤٦٨).
(٢) ((استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس - مجموع رسائل ابن رجب)) (٣/٣٩٩).
(٣) الجيد: مُقدَّمُ العنق. ((العين)) للخليل بن أحمد (٦/ ١٦٨).
(٤) ((المدهش)) لابن الجوزي (ص٢٧٧).

ومن الدلائل أن يرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألحَّ العاذلُ
ومن الدلائل أن يُرى متبسِّمًا والقلب فيه من الحبيب بلابلُ
ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا لكلام من يحظَى لديه السائلُ
ومن الدلائل أن يُرى متقشفًا متحفظًا من كلِّ ما هو قائلُ[1]



(١) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/١٠٣).



المُدَارَاة



المدَاراة

معنى المدَاراة لغةً واصطلاحًا:

• معنى المدَاراة لغةً:

المداراة مصدر دارى، يقال: داريته مداراة: لاطفته ولاينته، ومداراة الناس: أي ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم؛ لئلا ينفروا عنك[1].

• معنى المدَاراة اصطلاحًا:

قال ابن بطال: (المدَاراة: خفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول)[2].

وقال ابن حجر: (المراد به الدفع برفق)[3].

وقال المناوي: (المدَاراة: الملاينة والملاطفة)[4].

الفرق بين المدَاراة والمداهنة:

قال ابن بطال: (المدَاراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أنَّ المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسَّرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمدَاراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢٥٤/١٤)، وانظر: مادة (درأ) (٧١/١)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١٩٤/١).

(٢) ((شرح صحيح البخاري)) (٣٠٥/٩).

(٣) ((فتح الباري)) (٥٢٨/١٠).

(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص ٣٠١).

احتيج إلى تألفه ونحو ذلك)[١].

وقال القرطبي في الفرق بينهما: (أنَّ المدَاراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا، أو الدين، أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحبت. والمداهنة: ترك الدين لصلاح الدنيا)[٢].

وقال الغزالي: (الفرق بين المدَاراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء؛ فإن أغضيت لسلامة دينك، ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدار، وإن أغضيت لحظِّ نفسك، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك فأنت مداهن)[٣].

المداراة في الكتاب والسنة:

أولًا: المداراة في القرآن الكريم

– قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤١-٤٧].

قال السعدي: (وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل. أو: ليس عندك من العلم شيء. وإنما

---

(١) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٥٢٨).

(٢) ((المصدر السابق)) (١٠/٤٥٤).

(٣) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٢/١٨٢).

أتى بصيغة تقتضي أنَّ عندي وعندك علمًا، وأنَّ الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها)[١].

- وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ نعت لمصدر محذوف، أي مصاحبًا معروفًا، يقال: صاحبته مصاحبة ومصاحبًا. و﴿مَعْرُوفًا﴾ أي: ما يحسن. والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق)[٢].

- وقال سبحانه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٣-٤٧].

قال ابن كثير: (هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)[٣].

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ٤٩٤).
(٢) ((الجامع لأحكام القرآن)) (٦٦/١٤).
(٣) ((تفسير القرآن العظيم)) (٢٩٤/٥).

ثانيًا: المدَاراة في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن عروة بن الزبير، أنَّ عائشة أخبرته أنَّه استأذن على النَّبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقال صلى الله عليه وسلم: ((ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة. فلما دخل ألان له الكلام. فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول. فقال: أي عائشة، إنَّ شرَّ الناس منزلةً عند الله من تركه- أو ودعه- الناس اتقاء فحشه))(١). (أي لأجل قبح فعله وقوله، أو لأجل اتقاء فحشه، أي: مجاوزة الحدِّ الشرعي قولًا أو فعلًا، وهذا أصل في ندب المدَاراة إذا ترتب عليها دفع ضرٍّ، أو جلب نفع، بخلاف المداهنة فحرامٌ مطلقًا، إذ هي بذل الدين لصلاح الدنيا، والمدَاراة بذل الدنيا لصلاح دين أو دنيا، بنحو رفقٍ بجاهلٍ في تعليم، وبفاسقٍ في نهيٍ عن منكر، وترك إغلاظ وتألُّف، ونحوها مطلوبةٌ محبوبةٌ إن ترتب عليها نفع، فإن لم يترتب عليها نفع، بأن لم يتقِ شرَّه بها كما هو معروف في بعض الأنام فلا تشرع)(٢).

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهنَّ خلقن من ضِلع، وإنَّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا))(٣).

قال ابن حجر: (وفي الحديث الندب إلى المدَاراة لاستمالة النفوس، وتألف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهنَّ، والصبر على عوجهنَّ، وأنَّ من رام تقويمهنَّ [فاته] الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها، ويستعين بها على معاشه، فكأنَّه قال: الاستمتاع بها لا يتمُّ إلا بالصبر عليها)(٤).

(١) رواه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).
(٢) ((فيض القدير)) للمناوي (٢/٤٥٤).
(٣) رواه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).
(٤) ((فتح الباري)) (٩/٢٥٣).

- وعن هاني بن يزيد عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ موجبات المغفرة: بذل السلام، وحسن الكلام))[١].

قال المناوي: (أي: إلانة القول للإخوان، واستعطافهم على منهج المدَاراة، لا على طريق المداهنة والبهتان)[٢].

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس اتقوا الله، وإنْ أُمِّر عليكم عبد حبشي مجدَّع، فاسمعوا له وأطيعوا، ما أقام لكم كتاب الله))[٣].

قال المباركفوري: (فيه حثٌّ على المدَاراة، والموافقة مع الولاة، وعلى التحرز عما يثير الفتنة، ويؤدي إلى اختلاف الكلمة)[٤].

أقوال السلف والعلماء في المدَاراة:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم، وإنَّ قلوبنا لتلعنهم)[٥].

- وعنه أيضًا رضي الله عنه قال لزوجته: (إذا غضبت فَرَضيِّني، وإذا

(١) رواه الطبراني (٢٢/١٨٠) (٤٦٩). قال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/٢٤٦): إسناده جيد، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/٣٢): فيه أبو عبيدة بن عبد الله الأشجعي روى عنه أحمد بن حنبل وغيره ولم يضعفه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٢٣٢).

(٢) ((فيض القدير)) (٢/٤٥٤).

(٣) رواه الترمذي (١٧٠٦)، وابن ماجه (٢٣٢٨)، وأحمد (٦/٤٠٢) (٢٧٣٠١)، والحاكم (٤/٢٠٦). من حديث أم الحصين الأسلمية رضي الله عنها. قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد،

(٤) ((تحفة الأحوذي)) (٥/٢٩٧).

(٥) رواه البخاري معلقًا بصيغة التضعيف قبل حديث (٦١٣١)، ووصله أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/٢٢٢).

غضبت رضيتك، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق)[١].

- وقال معاوية رضي الله عنه: (لو أنَّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إن مدُّوها خلَّيتها، وإن خلَّوْا مددتها)[٢].

- وعن عمر بن الخطاب قال: (خالطوا الناس بالأخلاق، وزايلوهم بالأعمال)[٣].

- وقال عبد الله بن مسعود: (خالط الناس وزايلهم، ودينك لا تُكْلِمنَّه)[٤].

- وعن محمد بن الحنفية، قال: (ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد من معاشرته بدًّا، حتى يجعل الله له فرجًا، أو قال: مخرجًا)[٥].

- وقال الحسن البصري: (كانوا يقولون: المدَاراة نصف العقل، وأنا أقول هي العقل كلُّه)[٦].

- وعنه أيضًا: (المؤمن يداري ولا يماري ، ينشر حكمة الله ، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله)[٧].

- وعن يحيي بن سعيد، قال: قال لي نصر بن يحيي بن أبي كثير: (من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راياهم)[٨].

(١) رواه ابن حبان في ((روضة العقلاء)) (ص٧٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٥١/٧٠).
(٢) رواه ابن حبان في ((روضة العقلاء)) (ص٧٢).
(٣) ((مداراة الناس)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٧).
(٤) ((العزلة)) للخطابي (ص ٩٩).
(٥) ((مداراة الناس)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٦).
(٦) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٤٦٨/٣).
(٧) ((أخلاق العلماء)) للآجري (ص ٥٨).
(٨) ((مداراة الناس)) لابن أبي الدنيا (ص ١٠٩).

- وعن يونس، قال: بلغني عن ابن عباس، أنه كان يقول: (النساء عورة، خُلِقن من ضعف، فاستروا عوراتهنَّ بالبيوت، وداروا ضعفهنَّ بالسكوت)[١].

- وقال أبو يوسف: (خمسة تجب على الناس مداراتهم: الملك المسلط، والقاضي المتأول، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه)[٢].

- وعن وُهيب بن الورد قال: (قلت لوهب بن مُنبِّه: إني أريد أن أعتزل الناس. فقال لي: لا بدَّ لك من الناس وللناس منك؛ لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعًا، أعمى بصيرًا، سكوتًا نطوقًا)[٣].

- (وقال أبو حاتم رضي الله عنه الواجب على العاقل أن يلزم المدَاراة مع من دفع إليه في العشرة، من غير مقارفة المداهنة، إذ المدَاراة من المداري صدقة له، والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه، والفصل بين المدَاراة والمداهنة هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة؛ لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم، بلزوم المدَاراة من غير ثلم في الدين من جهة من الجهات، فمتى ما تخلَّق المرء بخلق، شابه بعض ما كره الله منه في تخلقه فهذا هو المداهنة؛ لأنَّ عاقبتها تصير إلى قلٍّ، ويلازم المدَاراة؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله)[٤].

- وقال محمد بن السماك: (من عرف الناس داراهم، ومن جهلهم ماراهم، ورأس المدَاراة ترك المماراة)[٥].

---

(١) ((مداراة الناس)) لابن أبي الدنيا (ص ١٤٠).
(٢) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٣/٤٧٧).
(٣) ((العزلة)) للخطابي (ص ٩٨).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٧٠).
(٥) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (١١/٣٦).

- وقال أبو بكر الطرطوشي: (المدَاراة: أن تداري الناس على وجه يسلم لك دينك)[١].

فوائد المدَاراة:

١- المدَاراة تزرع الألفة والمودة.

٢- المدَاراة تجمع بين القلوب المتنافرة.

٣- المدَاراة تطفئ العداوة بين الناس.

٤- المدَاراة من صفات المؤمن، والمداهنة من صفات المنافق[٢].

٥- علامة على حسن الخلق[٣].

٦- من عوامل إنجاح الدعوة إلى الله، إما بهداية من يداريه الداعية، أو بكفاية شره، وفتح مجالات أوسع للدعوة.

٧- تحقيق السعادة الزوجية[٤].

٨- تحقيق السلامة والأمن والطمأنينة للنفس[٥].

٩- العصمة من شرِّ الأعداء[٦].

قال ابن الجوزي: (من البله أن تبادر عدوًّا أو حسودًا بالمخاصمة؛ وإنَّما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما، إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب، ثم تبطن الحذر

(١) ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (١١/٣٦).
(٢) ((الروح)) لابن القيم (ص ٢٣١).
(٣) انظر: ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (١/١٤٦).
(٤) انظر: ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٧/٢٩٥).
(٥) انظر: ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (١/١٤٨).
(٦) انظر: ((أدب الدين والدنيا)) للماوردي (ص ١٨٢).

منه، فلا تثق به في حال، وتتجافاه باطنًا، مع إظهار المخالطة في الظاهر)[١].

صور المداراة:

صفة المدَاراة يحتاج إليها في التعامل مع بعض الأشخاص، في بعض الأوقات، ومن صور المداراة:

١- صيانة النفس من أهل الفجور والشرور:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ شرَّ النَّاس منزلةً عند الله، من تركه أو ودعه الناس، اتقاء فحشه)). وهذا فيما لابدَّ من مخالطته.

٢- في تعامل الإمام مع الرعية:

فعن أُمِّ المؤمنين عائشة قالت: أنه استأذن على النَّبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال صلى الله عليه وسلم: ((ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة. فلما دخل ألان له الكلام. فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول. فقال: أي عائشة، إنَّ شرَّ الناس منزلةً عند الله من تركه أو ودعه الناس، اتقاء فحشه))[٢].

فليس كل الرعية على نمط واحد، من حسن الخلق والمعشر، إنَّما الناس يختلفون، فيحتاج الإمام للمداراة، وهذا يكون من الإمام جمعًا للأمة، ورأفةً بها، وإرشادًا للضال، وتعليمًا للجاهل، لاسيما إن كان هؤلاء من أهل الرياسات والأتباع، فيداري الإمام مراعاة لمصلحة الأمة كلها[٣].

(١) ((صيد الخاطر)) (ص ٣٥١).

(٢) رواه البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١).

(٣) ((بدائع السلك في طبائع الملك)) لابن الأزرق (٢/١٦).

٣- الخوف من الكفار والعجز عن مقاومتهم:

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال الشنقيطي: (هذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا وإيضاح؛ لأنَّ محلَّ ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم، بقدر المدَارَاة التي يكتفي بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة)[1].

٤- في دعوة الناس والسلطان:

قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

(أمر الله جلَّ وعلا نبيه موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: كلامًا لطيفًا سهلًا رقيقًا، ليس فيه ما يغضب وينفر. وقد بين جلَّ وعلا المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٧-١٩] وهذا، والله غاية لين الكلام ولطافته ورقته، كما ترى. وما أمر به موسى وهارون في هذه الآية الكريمة أشار له تعالى في غير هذا الموضع، كقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥])[2].

وقال ابن القيم: (المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما

---

(١) ((أضواء البيان)) (٤١٣/١).

(٢) ((المصدر السابق)) (١٥/٤).

أنَّ المداري يتلطَّف بصاحبه حتى يستخرج منه الحقَّ، أو يردَّه عن الباطل، والمداهن يتلطَّف به؛ ليقره على باطله، ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق)[١].

٥- المدَاراة مع الوالدين:

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥].

٦- المدَاراة مع الزوجة محافظةً على الحياة الزوجية:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج))[٢].

٧- المدَاراة مع النفس:

بحملها على الطاعة بذكر نعيم الجنة، وكفها عن المعصية بذكر عذاب النار.

قال ابن الجوزي: (ومن فهم هذا الأصل، علَّل النفس، وتلطف بها، ووعدها الجميل، لتصبر على ما قد حملت، كما كان بعض السلف يقول لنفسه: والله ما أريد بمنعك من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك... واعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم، وبذلك ينقطع الطريق)[٣].

موانع اكتساب صفة المدَاراة:

١- العجلة، والطيش، وسرعة الغضب، والانتصار للنفس.

(١) ((الروح)) لابن القيم (ص ٢٣١).
(٢) رواه البخاري (٥١٨٤)، ومسلم (١٤٦٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) ((صيد الخاطر)) لابن الجوزي (ص ١١٤).

٢- عدم تفهم الواقع وطبائع الناس.

٣- سوء الخلق، وغلظة القلب.

٤- الكبر، وضعف إرادة الخير للناس.

٥- قلة الصبر والحلم والرفق.

٦- العزلة عن الناس.

الوسائل المعينة على اكتساب صفة المدَارَاة:

١- التحلِّي بخلق الصبر:

قال ابن تيمية: (المؤمن مشروع له مع القدرة أن يقيم دين الله بحسب الإمكان بالمحاربة وغيرها، ومع العجز يمسك عما عجز عنه من الانتصار، ويصبر على ما يصيبه من البلاء من غير منافقة، بل يشرع له من المدَارَاة ومن التكلم بما يُكره عليه، ما جعل الله له فرجًا ومخرجًا)[١].

٢- النظر للمصالح المترتبة على المدَارَاة[٢].

٣- التحلي بخلق الرفق والرحمة:

فإن المدَارَاة قائمة على الرفق، لتحقيق المراد من صلاح معوج، أو كفاية شر عدو ونحوه[٣].

٤- فهم الواقع و معرفة طبائع الناس:

قال ابن الجوزي: (لينظر المالك في طبع المملوك، فمنهم: من لا يأتي إلا

(١) ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥٢٨/٦).

(٢) انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٤٥٣/١٠).

(٣) انظر: ((مرقاة المفاتيح))، للملا علي القاري (٢٩٤١/٧)

على الإكرام، فليكرمه، فإنه يربح محبته. ومنهم: من لا يأتي إلا على الإهانة، فليداره، وليعرض عن الذنوب؛ فإن لم يكن، عاتب بلطف، وليحذر العقوبة ما أمكن. وليجعل للمماليك زمن راحة. والعجب ممن يُعنى بدابته، وينسى مداراة جاريته)[1].

قال بشر بن الحارث: (من عرف الناس استراح)[2].

٥- احتساب الأجر في دعوة الخلق:

من يتصدر لدعوة الناس، لابد أن يناله منهم أذى مما قد يدفع الداعية لترك دعوتهم، لذا فاحتساب الداعية للأجر عند الله في مداراته لأهل الكفر والفجور، والتحبب لهم من غير إقرار بمعصية أملًا في هدايتهم - مما يعين الداعية على تحمل الأذى .

٦- ترك الانتصار للنفس في حال القدرة، وحفظ النفس في حال العجز:

ففي ترك الانتصار للنفس استبقاء للودِّ، والمسير قدمًا في الإصلاح، وفي حفظ النفس العصمة ودفع الشرور.

نماذج في المدَارَاة:

- عن المسور بن مخرمة، قال: ((قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبية[3] ولم يعط مخرمة شيئًا، فقال مخرمة: يا بني، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانطلقت معه، فقال: ادخل فادعه لي. قال: فدعوته له،

---

(١) ((صيد الخاطر)) (ص ٢٥٦).

(٢) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/٢٣٩).

(٣) أقبية جمع قباء: وهو الثَّوْب المفرج المضموم وسطه. ((تفسير غريب ما في الصحيحين)) لمحمد ابن فتوح الحَمِيدي (٢٧٦).

فخرج إليه وعليه قباء منها، فقال: خبأت هذا لك. قال: فنظر إليه، فقال: رضي مخرمة))[١].

- وشكا رجل إلى مخلد بن الحسين رجلًا من أهل الكوفة فقال: (أين أنت عن المدَاراة؟ فإني أداري حتى أدارى، هذه جارية حبشية تغربل شعير الفرس له، ثم قال: ما تكلمت بكلمة أُريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة)[٢].

- وقال ابن الجوزي: (كنت قد رُزقت قلبًا طيِّبًا... فأحضرني بعض أرباب المناصب إلى طعامه، فما أمكن خلافه، فتناولت، وأكلت منه؛ فلقيت الشدائد، ورأيت العقوبة في الحال، واستمرت مدة، وغضبت على قلبي، وفقدت كلَّ ما كنت أجده، فقلت: واعجبًا! لقد كنت في هذا كالمكره فتفكَّرت، وإذا به قد يمكن مداراة الأمر بلقيمات يسيرة؛ وإنما التأويل جعل تناول هذا الطعام بشهوة أكثر مما يدفع بالمدَاراة، فقالت النفس: ومن أين لي أنَّ عين هذا الطعام حرام؟! فقالت اليقظة: وأين الورع عن الشبهات؟! فلما تناولت بالتأويل لقمة، واستجلبتها بالطبع، لقيت الأمرين بفقد القلب: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَـٰرِ﴾)[٣].

المدَاراة في واحة الشعر:

قال الشافعي:

وداريتُ كلَّ الناسِ لكنَّ حاسدي	مداراتُه عزَّت وعزَّ منالُها
وكيف يُداري المرءُ حاسدَ نعمةٍ	إذا كان لا يرضيه إلا زوالُها؟[٤]

(١) رواه البخاري (٥٨٠٠)، ومسلم (١٠٥٨).

(٢) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (٨/ ٢٦٦)

(٣) ((صيد الخاطر)) (٤١٠-٤١١).

(٤) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص ١٤٨).

وقال أحمد الخطابي:

ما دمتَ حيًّا فدارِ النَّاس كلَّهم فإنما أنت في دارِ المدَاراةِ
من يَدرِ دارى ومن لم يَدرِ سوف يرَى عما قليلٍ نديمًا للنداماتِ[١]

وقال القاضي التنوخي:

القَ العدوَّ بوجهٍ لا قطوبَ به يكادُ يقطرُ من ماءِ البشاشاتِ
فأحزمُ النَّاسِ من يلقَى أعاديَه في جسمِ حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ
الرفقُ يمنٌ وخيرُ القولِ أصدقُه وكثرةُ المزحِ مفتاحُ العداواتِ[٢]

وقال زهير:

ومَن لم يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ يُضرَّس[٣] بأنيابٍ ويُوطَأ بمَنْسِمِ[٤]

وقال النمر بن تولب:

وأبغِضْ بغيضَك بُغضًا رويدًا إذا أنت حاولتَ أن تحكما
وأحبِبْ حبيبَك حبًّا رويدًا فليس يعولك أن تصرما[٥]

وقال علي بن محمد البسامي:

دارِ مِن الناسِ مَلالاتِهم مَن لم يدارِ الناسَ ملُّوه
ومكرمُ النَّاسِ حبيبٌ لهم مَن أكرمَ الناسَ أحبُّوه[٦]

(١) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/٥٤).
(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨٢).
(٣) الضرس العض على الشيء بالضرس والمنسم خف البعير. ((شرح المعلقات التسع)) المنسوب لأبي عمرو الشيباني (ص ٢١٢).
(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/٥٤).
(٥) ((المصدر السابق)) (١/٥٣)، وتحكما: أي تصير حكيمًا، ويعولك: يشق عليك.
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٧٠).

وقال آخر:

تجنبْ صديقَ السوءِ واصرمْ[١] حبالَه وإن لم تجدْ عنه محيصًا فداره

وأحببْ حبيبَ الصدقِ واحذرْ مراءَه تنلْ منه صفوَ الودِّ ما لم تماره[٢]

وقال عبد الله السابوري:

مَن لم يكنْ لعيشِه مُداريًا عاداه مَن كان له مواليًا

ولا غِنى للفاضلِ الكبيرِ عن المدَاراةِ ولا الصغيرِ

يستجلبُ النفعَ بها الحكيمُ ويدركُ الحظَّ بها المحرومُ

مَن وارب[٣] الناسَ يخاتلوه[٤] ومَن يصانعهم يجاملوه[٥]

قال الشاعر:

وإذا عجزتَ عن العدوِّ فدارِه وامزحْ له إنَّ المزاحَ وفاقُ

فالنَّارُ بالماءِ الذي هو ضدُّها تُعطي النضاجَ وطبعُها الإحراقُ[٦]

---

(١) صرم الشيء قطعه. ((مختار الصحاح)) للرازي (١٧٥).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٧٢).

(٣) المواربة: المداهاة. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ١٤١).

(٤) خاتَلَهُ مُخاتَلَةً: خادَعَهُ وراوَغه. ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٨/٣٩٥).

(٥) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص ١٤٨).

(٦) ((أدب الدين والدنيا)) للماوردي (١/١٨٢).



المُروءَة



المروءَة

معنى المروءَة لغةً واصطلاحًا:

• معنى المروءَة لغةً:

المروءة هي كمال الرجولية، مصدر من: مَرُؤ يَمْرُؤ مُروءة، فهو مَرِيء أي: بَيِّن المروءَة، وتَمَرَّأ فلان: تَكَلَّف المروءَة. وقيل: صار ذا مُروءَةٍ، وفلان تَمَرَّأ بالقوم: أي سعى أن يوصف بالمروءَة بإِكرامهم، أَو بنقصهم وعَيْبهم[(١)].

• معنى المروءَة اصطلاحًا:

قال الماورديُّ: (المروءَة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتَّى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّه إليها ذمٌّ باستحقاق)[(٢)].

وقال ابن عرفة: (المروءَة هي المحافظَةُ على فِعْل ما تَرْكُه من مُباحٍ يُوجِبُ الذَّمَّ عُرْفًا... وعلى ترْك ما فعلُه من مُباحٍ يوجبُ ذَمَّه عُرْفًا...)[(٣)].

وقال الفيومي: (المروءَة آداب نفسانيَّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات)[(٤)].

أهمية المروءَة:

يقول الماوردي: (وفي اشتقاق اسم المروءَة من كلام العرب ما يدل على فضيلتها عندهم، وعظم خطرها في نفوسهم، ففيه وجهان:

(١) انظر: ((العين)) للفراهيدي (٨/٢٩٩)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١/٤٢٧)، ((المعجم الوسيط)) (٢/٨٦٠)، ((المخصص)) لابن سيده (١/٢٤٥)، ((المصباح المنير)) للفيومي (ص ٢١٧)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٩٢).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) (ص ٣٢٥).

(٣) ((شرح حدود ابن عرفة)) للرصاع (ص ٥٩١).

(٤) ((المصباح المنير)) (٨/٤٤٦).

أحدهما: مشتقة من المروءَة والإنسان، فكأنها مأخوذة من الإنسانية، والوجه الثاني: أنها مشتقة من المريء وهو ما استمرأه الإنسان من الطعام، لما فيه من صلاح الجسد، فأخذت منه المروءَة لما فيها من صلاح النفس)[١].

(وهي خلق رفيع القدر، يستعمله الأدباء في المدح، وعلماء الأخلاق والنفس في مكارم الأخلاق وسموِّ النفس، وعلماء الشرع من فقهاء ومحدِّثين في صفات الراوي والشاهد؛ ليوثق بكلامهما، والقاضي ليطمئنَّ إلى عدل، فتجدها في كتب أصول الفقه في صفات الراوي، وكذلك في كتب الحديث، بينما تجدها في كتب الفقه في كلِّ باب يتعرض للعدالة بالشرح والتفصيل، كالقضاء والشهادة والوقف)[٢].

فأكثرَ العلماء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، من ذكرها وبيان كنهها، وماهيتها، وبِمَ تكون، وكيف تكون، فتنوعت فيها الأقوال، وتعددت فيها الآراء، وتباينت فيها العبارات (فمن قائل قال: المروءَة ثلاثة: إكرام الرجال إخوان أبيه، وإصلاحه ماله، وقعوده على باب داره، ومن قائل قال: المروءَة إتيان الحق، وتعاهد الضعيف، ومن قائل قال: المروءَة تقوى الله، وإصلاح الضيعة، والغداء والعشاء في الأفنية، ومن قائل قال: المروءَة إنصاف الرجل من هو دونه، والسموُّ إلى مَن هو فوقه، والجزاء بما أُتي إليه، ومن قائل قال: مروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله عثرات جيرانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفُّه الأذى عن أباعده وجيرانه، ومن قائل قال: إن المروءَة التباعد من الخلق الدني فقط، ومن قائل قال: المروءَة أن يعتزل الرجل الريبة، فإنه إذا كان مريبًا

(١) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر)) للماوردي (ص٣٠).

(٢) ((عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي)) لشويش هزاع المحاميد (ص ٣٣٧).

كان ذليلًا، وأن يصلح ماله، فإنَّ من أفسد ماله لم يكن له المروءَة، والإبقاء على نفسه في مطعمه و مشربه، ومن قائل قال: المروءَة حسن العشرة، وحفظ الفرج واللسان، وترك المرء ما يُعاب منه، ومن قائل قال: المروءَة سخاوة النفس وحسن الخلق، ومن قائل قال: المروءَة العفة والحرفة، أي: يعف عمَّا حرم الله، ويحترف فيما أحل الله، ومن قائل قال: المروءَة كثرة المال والولد، ومن قائل قال: المروءَة إذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا قدرت غفرت، وإذا وعدت أنجزت، ومن قائل قال: المروءَة حسن الحيلة في المطالبة، ورقة الظرف في المكاتبة، ومن قائل قال: المروءَة اللطافة في الأمور وجودة الفطنة، ومن قائل قال: المروءَة مجانبة الريبة، فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال، فإنه لا ينبل فقير، وقيامه بحوائج أهل بيته، فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره، ومن قائل قال: المروءَة النظافة وطيب الرائحة، ومن قائل قال: المروءَة الفصاحة والسماحة، ومن قائل قال: المروءَة طلب السلامة واستعطاف الناس، ومن قائل قال: المروءَة مراعاة العهود، والوفاء بالعقود، ومن قائل قال: المروءَة التذلل للأحباب بالتملُّق، ومداراة الأعداء بالترفُّق، ومن قائل قال: المروءَة ملاحة الحركة ورقة الطبع، ومن قائل قال: المروءَة هي المفاكهة والمباسمة...)[1] إلى غير ذلك من الأقوال والآراء في حقيقة المروءَة وحدِّها الذي تعرف به، وفي تنوع هذه الأقوال دليل على فضل هذه السجية الكريمة، وعلو شأنها ورفعة قدرها، وبيان ما تنطوي عليه من الفضائل التي تسمو بالنفس عن منزلة البهيمية الحيوانية، إلى منزلة الإنسانية الكاملة.

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص٢٣٢).

وإنَّ الاختلاف في تعريف المروءَة ليس من باب اختلاف التضاد والتباين، بل هو من باب اختلاف التنوع وتعدد الأجناس تحت الأصل الواحد، فكلُّ هذه التعاريف مندرجة تحت لواء المروءَة مستظلة بظلها الوارف[1]، فهي تشمل كل ما ذكر من فضائل وسجايا وأخلاق كريمة، وكفى بذلك فضلًا وشرفًا.

قال أبو حاتم: (اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءَة ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض)[2].

حقيقة المروءَة:

يتكلم ابن القيم عن حقيقة المروءَة فيقول: حقيقتها: (اتصاف النفس بصفات الإنسان، التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم، فإنَّ في النفس ثلاثة دواع متجاذبة:

١- داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان، من الكبر، والحسد، والعلو، والبغي، والشرِّ، والأذى، والفساد، والغشِّ.

٢- وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة.

٣- وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان، والنصح، والبرِّ، والعلم، والطاعة، فحقيقة المروءَة: بغض ذينك الداعيين، وإجابة الداعي الثالث، وقلة المروءَة وعدمها: هو الاسترسال مع ذينك الداعيين، والتوجه لدعوتهما أين كانت، فالإنسانية والمروءَة والفتوة: كلها في عصيان الداعيَيْن، وإجابة الداعي الثالث)[3].

---

(١) الظل وارف: أي واسع ممتد. ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/ ٣٥٥).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص٢٣٢).

(٣) ((مدارج السالكين)) (٢/٣٥١).

الفرق بين المروءَة وبعض الصفات:

• الفرق بين المروءَة والفتوَّة:

قد يظنُّ ظانٌّ أنَّ المروءَة والفتوة شيء واحد لا يختلفان في معناهما، وليس ذلك بصحيح، بل بينهما فرق واضح وهو أنَّ المروءَة أعمُّ من الفتوة، فالمروءَة هي ما يتخلَّق به الإنسان مما يختص به في ذاته، أو يتعدَّى إلى غيره، بينما الفتوة ما يتخلَّق به الإنسان، ويكون متعديًا إلى غيره.

قال ابن القيم في التفريق بينهما: (أن المروءَة أعمُّ منها، فالفتوة نوع من أنواع المروءَة، فإنَّ المروءَة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختصٌّ بالعبد، أو متعدٍّ إلى غيره، وترك ما يُدنِّس ويشين مما هو مختص أيضًا به، أو متعلِّق بغيره، والفتوة إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق)[1].

• العلاقة بين المروءَة والعقل:

سُئِلَ بعض الحكماءِ عن العلاقة بين العقل والمروءَة فقال: (العَقل يأمرك بِالْأنفعِ، والمروءَة تأمرك بِالأجمل)[2].

• الفرق بين المروءَة والكرم:

(الكرم والمروءَة... قرينان في الفضل، ومتشاكلان في العقل، والفرق بينهما مع التشاكل من وجهين:

أحدهما: أن الكرم: مراعاة الأحوال، أن يكون على أنفعها وأفضلها، والمروءَة: مراعاة الأحوال، أن يكون على أحسنها وأجملها.

---

(١) ((مدارج السالكين)) (٢/٣٤٠).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٣٢٥).

والوجه الثاني: أن الكرم، ما تعدى نفعه إلى غير فاعله. والمروءَة: قد تقف على فاعلها ولا تتعدى إلى غيره، فإن استعملها في غيره مازجت الكرم، ولم ينفرد بالمروءَة وصار بالاجتماع أفضل، وإن افترقا كان الكرم أفضل لتعدي نفعه، وتعدي النفع أفضل.

وليس واحد من الكرم والمروءَة خلقًا مفردًا، ولكنه يشتمل على أخلاق يصير مجموعها كرمًا ومروءةً)[1].

المروءة في الكتاب والسنة:

أولًا: المروءَة في القرآن الكريم

المروءَة: هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، وهي رعيٌ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس؛ لذا فإنَّ كلَّ آية من كتاب الله تأمر بفضيلة من الفضائل، أو تنهى عن رذيلة من الرذائل فهي تدلُّ على المروءَة، وترشد إلى طريقها، ونحن هنا بصدد ذكر بعض الآيات التي تأمر بالتحلي بمحاسن الأخلاق، والتزين بجميلها:

- قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قيل لسفيان بن عيينة: (قد استنبطت من القرآن كل شيء، فهل وجدت المروءَة فيه؟ فقال: نعم، في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، يقول: ففيه المروءَة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق، فجمع

(١) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر)) للماوردي (ص ٢٨).

في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، وذلك في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، ودخل في قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الحض على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة).

- وقال الله تبارك وتعالى في صفات عباده الذين اتصفوا بأعلى صفات المروءَة ووصلوا إلى غاياتها: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦].

- وقال فيهم أيضًا شاهدًا لهم بالفلاح: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١٠].

- وقال أيضًا في وصفهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٧ - ٩].

- وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى في هذه الآية: (فيها عين المروءَة وحقيقتها)[1].

- وقال الله تبارك وتعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه ويعطيه دروسًا في القيم ومعالم في المروءَة: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٧-١٩].

(١) ((المروءَة)) لمحمد بن خلف بن المرزبان (ص١٣٣).

- وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٠ - ٩٢].

وقد جعل سفيان الثوري المروءَة مبنية على ركنين استمدهما من هذه الآية الكريمة، حيث سئل عن المروءَة ما هي؟ فقال: (الإنصاف من نفسك، والتفضل لله تعالى: إنَّ الله يأمر بالعدل، وهو الإنصاف، والإحسان، وهو التفضل، ولا يتمُّ الأمر إلا بهما، ألا تراه لو أعطى جميع ما يملك، ولم ينصف من نفسه لم تكن له مروءة؛ لأنَّه لا يريد أن يعطي شيئًا إلا أن يأخذ من صاحبه مثله، وليس مع هذا مروءة)[1].

فكلُّ هذه الآيات وما سواها -وما أكثرها في كتاب الله تبارك وتعالى- متضمنة لأصول المروءَة وركائزها التي تبنى عليها، وإن كانت لا تدلُّ على المروءَة بحروفها.

ثانيًا: المروءَة في السُّنَّة النَّبويَّة

وردت كثير من الأحاديث تشير إلى بعض ما تضمنته صفة المروءة من حسن الخلق وجميل المعاشرة، والتحذير من كلِّ ما يشين الإنسان، ويدنِّس عرضه، وسنقتصر على عرض بعض هذه الأحاديث:

---

(١) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (١/٣٧٢).

- ((قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم لله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: يوسف نبي الله، بن نبي الله، بن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))[١].

قال النووي: (معناه أنَّ أصحاب المروءات، ومكارم الأخلاق في الجاهلية، إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس)[٢].

- ومن ذلك حديث عائشة أمِّ المؤمنين في بدء الوحي، والذي فيه قول خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلَّا واللَّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضَّيف، وتعين على نوائب الحقِّ...))[٣].

- و((عن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه قال: سألت النَّبي صلى اللَّه عليه وسلم: أيُّ العمل أفضل؟ قال: إيمان باللَّه، وجهاد في سبيله. قلت: فأيَّ الرِّقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع النَّاس من الشَّرِّ، فإنَّها صدقة تصدَّق بها على نفسك))[٤].

- وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((السَّاعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل اللَّه وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصَّائم لا يفطر))[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٤)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/ ١٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣).

(٤) رواه البخاري (٢٥١٨).

(٥) رواه البخاري (٦٠٠٧) ومسلم (٢٩٨٢).

- وعن سهل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: ((أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا، وأشار بالسَّبَّابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا))(١).

أقوال السلف والعلماء في المروءَة:

- قال معاوية رضي الله عنه: (المروءَة ترك الشَّهوات وعصيان الهوى)(٢).

- وحُكي أنَّ معاوية سأل عَمرًا رضي الله عنه عن المروءَة، فقال: (تقوى اللَّه تعالى وصلة الرَّحم. وسأل المغيرة، فقال: هي العفَّة عمَّا حرَّم اللَّه تعالى، والحرفة فيما أحلَّ اللَّه تعالى. وسأل يزيد، فقال: هي الصَّبر على البلوى، والشُّكر على النُّعمى، والعفو عند المقدرة. فقال معاوية: أنت منِّي حقًّا)(٣).

- وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (من مُرُوءَةِ الرَّجُل نقاءُ ثوْبِه)(٤).

- وسأل الحسين أخاه الحسن عن المروءَة فقال: (الدين، وحسن اليقين)(٥).

- وَسُئِل محمد بن علي عن المروءَة فقال: (أَنْ لَا تعمل فِي السِّر عَمَلًا تَسْتَحِي مِنْهُ فِي العلانية)(٦).

- وقال علي بن الحسين: (من تمام المروءَة خدمة الرجل ضيفه، كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل بنفسه وأهله)(٧).

---

(١) رواه البخاري (٥٣٠٤).

(٢) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٤٥٧).

(٣) ((المروءَة)) للمرزبان (ص١٢٧)، و((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٢١).

(٤) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٢٥٩).

(٥) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (١/٢٣١).

(٦) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٣٣٤).

(٧) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/١٥١).

- وقال عمر بن عبد العزيز: (ليس من المروءَة أن تستخدم الضيف)[١].

- وقال الأحنف بن قيس: (الكذوب لا حيلة له، والحسود لا راحة له، والبخيل لا مروءة له، والملول لا وفاء له، ولا يسود سيئ الأخلاق، ومن المروءَة إذا كان الرجل بخيلًا أن يكتم ويتجمل)[٢].

- وسئل أيضًا عن المروءَة فقال: (صدق اللِّسان، ومواساة الإخوان، وذكر اللَّه تعالى في كلِّ مكان)[٣].

- وقال مرَّة: (العفَّة والحرفة)[٤].

- وقال الماوردي: (اعلم أنَّ من شواهد الفضل ودلائل الكرم، المروءَة التي هي حلية النُّفوس، وزينة الهمم)[٥].

- وسئل بشر بن الحارث عن القناعة فقال: (لو لم يكن فيها إلَّا التَّمتُّع بعزِّ الغنى لكان ذلك يجزي، ثمَّ أنشأ يقول:

أفادتنا القناعة أيَّ عزٍّ ... ولا عزَّ أعزَّ من القناعه

فخذ منها لنفسك رأس مال ... وصيِّر بعدها التَّقوى بضاعه

تحز حالين تغنى عن بخيل ... وتسعد في الجنان بصبر ساعه

ثمَّ قال: مروءة القناعة أشرف من مروءة البذل والعطاء)[٦].

(١) ((الإمتاع والمؤانسة)) لأبي حيان التوحيدي (٣٤٢/١).
(٢) ((أمالي القالي)) (١١٠/١).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٣٤٣).
(٤) ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٥ / ٢٠٥).
(٥) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٢٥).
(٦) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٥٣٧/٢)

- وقال سفيان بن حسين: (قلت لإياس بن معاوية: ما المروءَة؟ قال: أمَّا في بلدك فالتَّقوى، وأمَّا حيث لا تعرف فاللِّباس)[١].

- وقال أحمد -في آداب مؤاكلة الإخوان-: (يأكل بالسُّرور مع الإخوان، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءَة مع أبناء الدُّنيا)[٢].

فوائد التحلي بالمروءَة واجتناب ما يخرمها:

١- صون النفس، وهو حفظها وحمايتها عما يشينها، ويعيبها ويزري بها عند الله عزَّ وجلَّ، وملائكته، وعباده المؤمنين، وسائر خلقه[٣].

٢- توفير الحسنات، ويكون ذلك من وجهين:

أحدهما: توفير زمانه على اكتساب الحسنات، فإذا اشتغل بالقبائح نقصت عليه الحسنات التي كان مستعدًّا لتحصيلها.

والثاني: توفير الحسنات المفعولة عن نقصانها، بموازنة السيِّئات وحبوطها، فإنَّ السيِّئات قد تحبط الحسنات، وقد تستغرقها بالكلية أو تنقصها، فلابد أن تضعفها قطعًا؛ فتجنبها يُوَفِر ديوان الحسنات، وذلك بمنزلة من له مال حاصل، فإذا استدان عليه؛ فإمَّا أن يستغرقه الدين أو يكثره أو ينقصه، فهكذا الحسنات والسيئات سواء[٤].

٣- صيانة الإيمان؛ وذلك لأنَّ الإيمان عند جميع أهل السُّنَّة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد حكاه الشافعي وغيره عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم،

---

(١) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/١٦٤).
(٢) ((المصدر السابق)) (٢/١٤٦).
(٣) ((مدارج السلكين)) لابن القيم (٢/٢٦).
(٤) ((المصدر السابق)).

وإضعاف المعاصي للإيمان أمر معلوم بالذوق والوجود، فإنَّ العبد- كما جاء في الحديث- إذا أذنب نُكِت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر صقل قلبه، وإن عاد فأذنب نُكت فيه نكتة أخرى، حتى تعلو قلبه(١).

٤- سبيل إلى نيل المطالب العالية، والسبق إليها، وإن كثر عليها المتنافسون، قال بعْض الْعلماءِ: إذَا طلب رجلانِ أَمْرًا ظفِر بِهِ أَعْظمهما مروءةً(٢).

٥- التحلي بها مما يزيد في ماء الوجه وبهجته، قال ابن القيم: (أَربعةٌ تزِيد فِي ماءِ الوجهِ وبهجتِهِ: المروءَة، والوفاء، والكرم، والتَّقوى)(٣).

٦- تحجز المرء عن كلِّ لذة يتبعها ألم، وكل شهوة يلحقها ندم، فهي جُنَّة عن اللذائذ المحرمة، والشهوات المهلكة، وقد قيل: (الدين، والمروءَة، والعقل، والروح، ينهين عن لذة تعقب ألمًا، وشهوة تورث ندمًا)(٤).

٧- والمروءَة مانعة من الكذب، باعثة على الصدق؛ لأنها قد تمنع من فعل ما كان مستكرهًا، فأولى من فعل ما كان مستقبحًا(٥).

٨- داعية إلى إنصاف الرجل لجميع الخلق، سواء في ذلك من كان دونه، أو من كان فوقه، لا يفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

٩- داعية إلى الرفعة والعلو، والمنافسة في خيري الدنيا والآخرة، وعدم الرضا من الشيء إلا بأعلاه وغايته.

١٠- تحمل صاحبها إلى الترفع عن سفاسف الأمور، ومحقراتها.

---

(١) ((المروءَة وخوارمها)) لمشهور حسن آل سلمان (٣٥٣ - ٣٥٥).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٣٢٧).

(٣) ((زاد المعاد)) (٣٧٢/٤).

(٤) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٤٥٦/٢).

(٥) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٢٧٢).

١١- تحجزه عن الوقوع في مواطن الريب والشبهات، وإن حصل ووقع في مثل هذه المواطن تحمله على التخلص منها وعدم الرجوع إليها.

١٢- جالبة لمحبة الله تبارك وتعالى للعبد، ومن ثم محبة الخلق له.

أقسام المروءَة:

كل من تكلم عن المروءَة وحدِّها وبيانها لم يخرجها عن أحد نوعين:

إما أفعال أو تروك، وهذا ما بيَّنه أبو حاتم البستي بعد أن سرد مجموعة من الأقوال في تعريف المروءَة، قال: (والمروءَة عندي خصلتان:

- اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال.

- واستعمال ما يحبُّ الله والمسلمون من الخصال)[١].

وهذا ما عناه ابن القيم بقوله: (وحقيقة المروءَة تجنب للدنايا والرذائل، من الأقوال، والأخلاق، والأعمال، فمروءة اللسان: حلاوته، وطيبه، ولينه، واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر. ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض. ومروءة المال: الإصابة ببذله مواقعه المحمودة، عقلًا وعرفًا وشرعًا. ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه. ومروءة الإحسان: تعجيله، وتيسيره، وتوفيره، وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه، فهذه مروءة البذل.

وأما مروءة الترك: فترك الخصام، والمعاتبة، والمطالبة، والمماراة، والإغضاء عن عيب ما يأخذه من حقِّك، وترك الاستقصاء في طلبه، والتغافل عن عثراته)[٢].

---

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ٢٣٢).
(٢) ((مدارج السالكين)) (٣/١٥١-١٥٢).

وبهذا التقسيم -أعني مروءة الفعل والبذل ومروءة الترك- ينتظم جميع الأقوال التي عرفت بها المروءَة في سلك واحد.

شروط المروءَة:

للمروءة شروط لا تتأتى إلا بها، ولا يحصلها الشخص إلا بنوع من المعاناة وبذل الجهد، يقول الماوردي: (من حقوق المروءَة وشروطها ما لا يتوصَّل إليه إلَّا بالمعاناة، ولا يوقف عليه إلَّا بالتَّفقُّد والمراعاة، فثبت أنَّ مراعاة النَّفس على أفضل أحوالها هي المروءَة.

وإذا كانت كذلك فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها إلَّا من تسهَّلت عليه المشاقُّ رغبةً في الحمد، وهانت عليه الملاذُّ حذرًا من الذَّمِّ)[1].

وقد عدَّد بعض البلغاء بعض شروط المروءَة، فقال: (من شرائط المروءَة أن تعفَّ عن الحرام، وتتصلَّف عن الآثام، وتنصف في الحكم، وتكفَّ عن الظلم، ولا تطمع في ما لا تستحق، ولا تستطيل على من لا تسترق، ولا تعين قويًّا على ضعيف، ولا تؤثر دنيًّا على شريف، ولا تُسِرَّ ما يُعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم)[2].

وقد أجاد الماوردي في بيان شروط المروءة، مع حسن التقسيم، وبراعة العرض، وفيما يلي تلخيص لكلامه:

من هذه الشروط:

الأول شروط المروءَة فِي نفسِ الشخص: وشروطها فِي نفسِه بعد التِزام

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) (ص ٣٢٦).

(٢) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر)) للماوردي (ص ٢٩).

ما أوجبه الشَّرع من أحكامِه يكون بثلاثة أمورٍ وهي:

١- العِفَّة: وهي نوعان:

أحدهما: العِفَّة عن المحارِمِ: وهذه تكون بشيئين اثنين:

أحدهما: ضبط الفرجِ عن الحرامِ.

والثَّانِي: كفُّ اللِّسانِ عن الأعراضِ.

والثَّانِي: العِفَّة عن المآثِمِ: وهذه أيضًا لا تكون إلا بشيئين:

أَحدهما: الكفُّ عن المجاهرةِ بِالظُّلمِ.

والثَّانِي: زجر النَّفسِ عن الإِسرارِ بِخِيانةٍ.

٢- النَّزاهة: وهي نوعانِ:

أَحدهما: النَّزاهة عن المطامِعِ الدَّنِيَّةِ .

والثَّاني: النَّزاهة عن مواقف الرِّيبة.

٣- الصِّيانة: وهي نوعانِ:

أَحدهما: صِيانة النَّفسِ بالتِماس كِفايتها، وتقدِير مادَّتها.

والثَّاني: صيانتها عن تحمُّل المنن من النَّاسِ، والاسترسال في الاستعانة.

الثَّانِي: شروط المروءَة في غيره، وتكون بثلاثة أمور وهي:

- المؤازرة: وهي نوعانِ:

أحدهما: الإِسعاف بِالجاه.

والثَّاني: الإسعاف فِي النَّوائِب.

- والمياسرة وهي نوعانِ:

أَحدهما: العفو عن الهفوات.

والثَّانِي: المسامحة في الحقوق وهي نوعان:

المسامحة في عقودٍ: بأَن يكون فيها سهل المناجزةِ، قلِيل المحاجزةِ، مأمون الغيبةِ، بعِيدًا مِن المكرِ والخدِيعةِ.

المسامحة في حقوق: وتتنوَّع المسامحة فِيها نوعينِ:

أَحدهما فِي الأَحوالِ: وهو اطِّراح المنازعةِ فِي الرُّتبِ، وترك المنافسةِ فِي التَّقدُّمِ.

والثَّانِي فِي الأَموالِ: وهي ثلاثة أنواع: وهي مسامحة إسقاطٍ لِعدمٍ، ومسامحة تخفِيفٍ لِعجزٍ، ومسامحة إنكارٍ لِعسرةٍ.

- والإِفضال: وهو نوعان:

إفضال اصطِناعٍ: وهو نوعان:

أحدهما: ما أَسداه جودًا فِي شكورٍ.

والثَّانِي: ما تأَلَّف به نبوة نفورٍ.

وإِفضال استكفافٍ ودِفاعٍ:

وذلك لأَنَّ ذا الفضلِ لا يعدم حاسِد نِعمةٍ، ومعانِد فضِيلةٍ، يعترِيهِ الجهل بِإظهارِ عِنادِهِ، ويبعثه اللُّؤم على البذاءِ بِسفهِهِ، فإِن غفل عن استِكفافِ السُّفهاءِ، وأَعرَض عن استِدفاعِ أَهلِ البذاءِ، صار عِرضه هدفًا لِلمثالِبِ، وحاله عُرضةً للنَّوائب، وإذا استكفى السَّفِيه، واستدفع البذِيء صان عرضه، وحمى نِعمته.

ولاستِكفافِ السُّفهاءِ بالإِفضالِ شرطان:

أحدهما: أَن يخفِيه حتَّى لا ينتشِر فِيهِ مطامِع السُّفهاء، فيتوصَّلون إلى اجتِذابِهِ بِسبِّه، وإلى مالِه بِثلبِه.

والثَّاني: أَن يتطلَّب له في المجاملة وجهًا، ويجعله في الإِفضال عليه سببًا؛ لأَنَّه لا يرى أَنَّه على السَّفهِ واستِدامةِ البذاءِ[1].

درجات المروءَة:

للمروءة ثلاث درجات ذكرها ابن القيم، فقال:

- **الدرجة الأولى**: مروءة المرء مع نفسه وهي أن يحملها قسرًا على ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين ليصير لها ملكة في العلانية، فمن أراد شيئًا في سرِّه وخلوته، ملكه في جهره وعلانيته، فلا يكشف عورته في الخلوة، ولا يتجشأ بصوت مزعج ما وجد إلى خلافه سبيلًا، ولا يخرج الريح بصوت وهو يقدر على خلافه، ولا يجشع وينهم عند أكله وحده.

وبالجملة: فلا يفعل خاليًا ما يستحي من فعله في الملأ، إلا ما لا يحظره الشرع والعقل؛ ولا يكون إلا في الخلوة كالجماع والتخلي ونحو ذلك.

- **الدرجة الثانية**: المروءَة مع الخلق، بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه، وليتخذ الناس مرآة لنفسه، فكلُّ ما كرهه ونفر عنه من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه، وما أحبَّه من ذلك واستحسنه فليفعله.

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي بتصرف (٣٢٩-٣٥٥).

وصاحب هذه البصيرة ينتفع بكلِّ من خالطه وصاحبه، من كامل، وناقص، وسيئ الخلق، وحسنه، وعديم المروءَة، وغزيرها. وكثير من الناس يتعلم المروءَة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها، كما روي عن بعض الأكابر أنه كان له مملوك سيئ الخلق، فظٌّ غليظ لا يناسبه، فسُئل عن ذلك فقال: أدرس عليه مكارم الأخلاق. وهذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق في ضد أخلاقه، ويكون بتمرين النفس على مصاحبته ومعاشرته والصبر عليه.

- **الدرجة الثالثة:** المروءَة مع الحقِّ سبحانه، بالاستحياء من نظره إليك، واطلاعه عليك في كلِّ لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان، فإنه قد اشتراها منك، وأنت ساعٍ في تسليم المبيع وتقاضي الثمن، وليس من المروءَة: تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملًا، أو رؤية مِنَّته في هذا الإصلاح، وأنَّه هو المتولِّي له لا أنت، فيغنيك الحياء منه عن رسوم الطبيعة، والاشتغال بإصلاح عيوب نفسك عن التفاتك إلى عيب غيرك، وشهود الحقيقة عن رؤية فعلك وصلاحك(١).

صور المروءَة وآدابها:

للمروءة آدابٌ كثيرة قلَّ أن تجتمع في إنسان إلا أن يشاء الله تعالى؛ ولذلك فإنَّ منازل الناس فيها تتباين تبعًا لما يُحصِّله الإنسان من آدابها ومراتبها.

قال ابن هذيل: إنَّ (للمروءة وجوهًا وآدابًا لا يحصرها عدد ولا حساب، وقلَّما اجتمعت شروطها قط في إنسان، ولا اكتملت وجوهها في بشر، فإن كان ففي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دون سائرهم، وأمَّا الناس فيها فعلى مراتب بقدر

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٣٥٣).

ما أحرز كلٌّ واحد منهم من خصالها، واحتوى عليها من خلالها)[1].

وقد وردت جُملةٌ من الآداب التي يجب أن يتمتع بها صاحب المروءَة، ومنها[2]:

- أن يكون ذا أناةٍ وتؤدةٍ؛ فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجلة، كأن يُكثر الالتفات في الطريق، ويعجل في مشيه العجلة الخارجة عن حد الاعتدال.

- أن يكون متَّئدًا في كلامه يرسل كلماته مفصَّلة، ولا يخطف حروفها خطفًا، حتى يكاد بعضها يدخل في بعض، بل يكون حسن البيان، واضح العبارة، بعيدًا عن التكلف والتقعر، ينتقي أطايب الحديث، كما ينتقي أطايب الثمر، وقد كتب عُمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: (خُذِ النَّاس بالعربِيَّة، فإِنَّه يزيد في العَقل، ويُثبت المروءَة)[3].

- أن يضبط نفسه عن هيجان الغضب، أو دهشة الفرح، وأن يقف موقف الاعتدال في حالي السرَّاء والضرَّاء.

- أن يتحلَّى بالصراحة، والترفع عن المواربة، والمجاملة، والنفاق، فلا يُبدي لشخصٍ الصداقة، وهو يحمل له العداوة، أو يشهد له باستقامة السيرة، وهو يراه منحرفًا عن السبيل.

- ألا تطيش به الولاية والإمارة في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة.

- ألاَّ يفعل في الخفاء ما لو ظهر للناس لعدُّوه من سقطاته والمآخذ عليه،

---

(١) ((عين الأدب والسياسة)) (ص١٣٢).

(٢) ((المروءَة ومظاهرها الصادقة)) لمحمد الخضر حسين، بتصرف. نقلاً عن كتاب ((المروءَة الغائبة)) لمحمد إبراهيم (١٢٠- ١٢٣) - بتصرف.

(٣) ذكره أبو منصور الأزهري في ((تهذيب اللغة)) (١٥/٢٠٥).

وقد رفع محمد بن عمران التيمي شأن هذا الأدب حتى جعله هو المروءَة، فقال لما سئل عن المروءَة: ألَّا تعمل في السِّر ما تستحي منه في العلانية.

- أن يتجنب القبائح لقبحها ووخامة عاقبتها، فيكون تجنبه لها في السِّر والعلانية.

- أن يلاقي الناس بطلاقة وجه، ولسان رطب، غير باحث عما تكنُّه صدورهم من مودة، أو بغضاء، ولكنه لا يستطيع أن يرافق ويعاشر إلا ودودًا مخلصًا.

- أن يكون بخيلًا بوقته عن إطلاق لسانه في أعراض الناس، والتقاط معايبهم، أو اختلاق معايب لهم، فهو لا يرضى بأن يشغل وقته إلا بما تتقاضاه المروءَة من حقوق، قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطيب لا يحسن يهجو، فقال له: لا تقل ذلك، فوالله ما تركه من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء، ويراه ضعة، كما يرى تركه مروءةً وشرفًا، وأنشد قول أبي الهيذام:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال ذوو العيوب

وربما اضطر ذو المروءَة أن يدافع شرَّ خصومه الكاشحين بذكر شيء من سقطاتهم، ولكن المروءَة تأبى له أن يختلق لهم عيبًا يقذفهم به، وهم منه براء، فإنَّ الإخبار بغير الواقع يقوض صروح المروءَة، ولا يبقي لها عينًا ولا أثرًا، قال الأحنف: لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل.

كما أنه يحفظ لسانه عن أن يلفظ مثلما يلفظ أهل الخلاعة من سفه القول:

وحذار من سفه يشينك وصفه إنَّ السفاه بذي المروءَة زاري

- أن يتجنب تكليف زائريه وضيوفه ولو بعملٍ خفيف؛ فقد ورد عن عمر ابن عبد العزيز رحمه الله قوله: (ليس من المروءَة استخدام الضيف).

- أن يسود في مجلسه الجدُّ والحكمة، وأن لا يلمَّ في حديثه بالمزاح إلا إلمامًا، مؤنسًا في أحوال نادرة، قال الأحنف بن قيس: (كثرة المزاح تذهب المروءَة).

- أن يُحسن الإصغاء لمن يُحدثه من الإخوان، فإنَّ إقباله على محدثه بالإصغاء إليه يدلُّ على ارتياحه لمجالسته، وأُنسه بحديثه. وإلى هذا الأدب الجميل يُشير أبو تمام بقوله:

من لي بإنسانٍ إذا أغضبته ورضيتُ كان الحِلم ردَّ جوابه

وتراه يُصغي للحديث بقلبه وبسمعه، ولعله أدرى به

- أن يحتمل ضيق العيش، ولا يبذل ماء حيائه وكرامته في السعي لما يجعل عيشه في سعة، أو يديه في ثراء، قال مهيار:

ونفس حرة لا يزدهيها[1] حلى الدنيا وزخرفها المعار

يبيت الحق أصدق حاجتيها وكسب العز أطيب ما يمار

ألَّا يظهر الشكوى من حوادث الدهر إلا أن يتقاضى حقًّا:

لا يفرحون إذا ما الدهر طاوعهم يومًا بيسر ولا يشكون إن نكبوا

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في عمر بن عثمان بن عفان:

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

(١) يزدهيها: يستخفها. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ٣٦١).

أن يكون حافظًا لما يؤتمن عليه، من أسرارٍ وأُمور لا ينبغي أن تظهر لأحدٍ غير صاحبها. وفي هذا المعنى يقول المتنبي:

كفتك المروءَة ما تتقي وأمَّنك الود ما تحذر

يريد أنه ذو مروءة، وذو المروءَة لا يُفشي سرًّا اؤتمن عليه.

- أن يحذر أن يؤذي شخصًا ما، وأشد ما يحذر أن يؤذي ذا مروءة مثله:

وأستحيي المروءَة أن تراني قتلت مناسبي جلدًا وقهرًا

- أن يحرص على أن تطابق أقواله وأفعاله ما جرت عليه الأعراف والتقاليد الحسنة، والتي لا تخالف الشرع ولا تضادُّ الدين.

- أن يعامل الآخرين بما يحب أن يعاملوه به، وأن يحترمهم ولا يفضل نفسه عليهم في شيء.

أسباب خوارم[1] المروءَة:

١- الخبل في العقل (أي الفساد فيه):

إن الإنسان سمي مرءًا أو امرءًا أي عاقلًا، ووصف بالمروءَة؛ لأنه لا يتصف بخلافها إلا الحمقى، ومن هنا كان الخبل في العقل سببًا في اقتراف خوارم المروءَة، والذي يجعلنا لا نثق بكلامه فنرد شهادته بسببه.

ولا تستغرب هذا! بل من الحكماء من جعل المروءَة أعلى درجة من العقل، فقال: (العقل يأمرك بالأنفع، والمروءَة تأمرك بالأرفع) فمن أخلَّ بمروءته رضي بالدون، ولم يكرم نفسه مما يشينها.

---

(١) الخوارم جمع خارم: وهو التارك المفسد. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٧٢/١٢). وخوارم المروءة: هو كل فعل، أو قول، أو حرفة، يوجب فعلها أو تركها الذم في عادات الناس وأعرافهم المعتبرة شرعًا. ((المروءة وخوارمها)) لمشهور حسن سلمان (ص ٢٨١).

ويلتقي هذا مع اشتراط الفقهاء الفطنة وعدم التغفل في الشهود ولو كانوا عدولًا، وعدم قبول شهادة المجنون ابتداءً.

٢- نقصان الدين:

إنَّ الفسق علامة على النقص في الدين، فلا يقدم على الكبائر مثلًا إلا فاسق غير مبال بدينه، وكذا خوارم المروءَة لا يقدم عليها حتى تخرم مروءته إلا ناقص دين، فكان أحد الأسباب التي تخرم المروءَة.

٣- قلة الحياء:

إنَّ من أسباب فعل الخوارم قلة الحياء؛ لأنَّ فاعلها لا يستقبح القبيح، ولا يبالي بكلام الناس، وقلة حيائه تعطيه الجسارة في فعل خوارم المروءَة[1].

أنواع خوارم المروءَة:

يمكن أن نقسم خوارم المروءَة إلى نوعين اثنين:

الأول: خوارم للمروءة بحسب الشرع.

الثاني: خوارم للمروءة بحسب العرف السائد.

فالأولى لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الأحوال والأزمان؛ لأنها تستمد ثباتها من الشرع الحنيف. وعليه، فكلُّ من وصف بأنَّه منخرم المروءَة بواحدة من تلك الخوارم، فهو مخروم المروءَة في كلِّ حين، كأخذ الأجر على التحديث عند مَن يرى حرمة ذلك، فمن خرمت مروءته لهذا، فإنَّه لا يزال على ذلك أبدًا، وكذلك مَن خرمت مروءته بسبب السفه، وبذاءة اللسان؛ لأنَّ المسلم لا يكون بذيئًا ولا سفيهًا...

(١) ((عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي)) لشويش هزاع المحاميد (٣٥٦-٣٥٧).

وأمَّا الخوارم التي ترجع إلى مخالفة عرف سائد، فإنَّ المحققين من العلماء لا ينظرون إليها سواء بسواء مع تلك الخوارم التي ترجع إلى مخالفة أصل شرعي؛ لجواز أن يتغير العرف السائد، فما يعدُّ من الخوارم في زمن لا يكون كذلك في زمن آخر، وما يعدُّ من الخوارم في بلد لا يكون كذلك في بلد آخر... (لاختلاف العرف في هذين البلدين، مثل: كشف الرأس، فقد يكون مستقبحًا في بلد للعرف السائد فيه، فيكون قادحًا في المروءَة والعدالة، وقد لا يكون مستقبحًا في بلد آخر، فلا يكون قادحًا في العدالة) ولهذا فإن المروءَة في مثل هذا هي مراعاة العرف السائد[1].

شروط الأفعال حتى تكون خارمة للمروءة:

الأول: أن يكون الإقدام على الأفعال والأقوال المحرمة شرعًا، ولو لمرة واحدة، أو المكروهة بشرط التكرار، أو الصغائر بشرط الغلبة على الطاعات، أمَّا المباحات فيشترط فيها حتى تكون خارمة للمروءة، قبحها في العادات والأعراف المعتبرة شرعًا، إذ لا يُؤمن معها الجرأة على الكذب، والإدمان على فعلها.

الثاني: الإدمان أو الإصرار أو الغلبة:

خوارم المروءَة من المحرمات لا يشترط فيها الإدمان، وكذلك صغائر الخسة، أما الصغائر ورذائل المباحات فيشترط فيها الإدمان؛ وذلك لأنَّ الإنسان لا يسلم من يسير اللهو، أو فعل بعض المباحات؛ لعدم العصمة، وليس هذا شرطًا متفقًا عليه[2].

(١) ((جرح الرواة وتعديلهم)) لمحمود عيدان الدليمي (ص ١٠٨).
(٢) ((عدالة الشاهد في القضاء الإسلامي)) لشويش هزاع المحاميد (٣٥٨ - ٣٥٩).

حكم فعل خوارم المروءَة:

(أجمع العلماء على أنَّ مَن فعل ما يخلُّ بالمروءَة لا تُقبل شهادته، والأفعال والأقوال التي تخلُّ بالمروءَة أقسام:

الأول: المحرمات التي يُعدُّ فعلها كبيرةً، سواء أكانت محرمةً لذاتها أم لغيرها، ومن العلماء من جعل كلَّ ما يخلُّ بالمروءَة كبيرة وليس ذلك صحيحًا.

الثاني: المكروهات إذا حكم على فعلها بأنها صغيرة، فتخلُّ بالمروءَة والعدالة بالإدمان عليها، وغلبتها على الطاعات؛ إلا صغائر الخسة؛ فإنها تخل بالمروءَة لفعلها مرة واحدة.

الثالث: المباحات؛ فالأصل فيها أن لا يأثم الإنسان على تركها ولا يثاب على فعلها، وقد يثاب إذا رافقتها نيَّة صالحة، كالتقوي على العبادة، أو التصدق على المحتاجين... إلخ.

وهذه المباحات لا تخلُّ بالمروءَة إلا إذا انتقلت من حكم الإباحة إلى غيره؛ فقد تصبح محرمةً إذا كان فعلها إتلافًا وإضرارًا بالآخرين، وقد يصبح فعلها مكروهًا بالإدمان عليها، أو التشبه بالفسقة في فعلها، أو رافقها الإسراف؛ فهذه تخلُّ بالمروءَة.

وهناك من المباحات ما يخلُّ بالمروءَة عرفًا؛ فهذه تخلُّ بالمروءَة إذا كان العرف معتبرًا شرعًا، أي غير فاسد باصطدامه بمقاصد الشرع وأدلته؛ ولأنَّ هذه المباحات المخلة بالمروءَة عرفًا لا يحرم فعلها، إلا إذا تعينت على فاعلها الشهادة، ولم تكن هناك وسيلة للإثبات غير شهادته بوجود شاهد آخر أو وثيقة؛ فحرمة فعلها جاءت لتسببها في ضياع الحقوق)[1].

---

(١) ((المروءَة وخوارمها)) لمشهور حسن سلمان (ص ٣٤٥).

الوسائل المعينة على اكتساب المروءَة:

يقول ابن حبان البستي: (الواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءَة، بما قدر عليه من الخصال المحمودة وترك الخلال المذمومة، وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم، واتكلوا على أجدادهم في الذكر والمروءات، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم، ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذمٍّ من هذا نعته:

إنَّ المروءَة ليس يدركها امرؤ ورث المروءَة عن أب فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة والخَنا[1] ونهته عن طلب العلى فأطاعها

فإذا أصاب من الأمور عظيمة يبني الكريم بها المروءَة باعها

...إلى أن قال: (ما رأيت أحدًا أخسر صفقة، ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا، ولا أحمق شعارًا، ولا أدنس دثارًا، من المفتخر بالآباء الكرام، وأخلاقهم الجسام، مع تعريه عن سلوك أمثالهم وقصد أشباههم، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدَّمهم، وهيهات أنى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه، وأنى ينبل في الدارين إلا بكدِّه)[2].

فإذا كانت المروءَة لا تنال بالميراث، ولا تنتقل عبر المورثات الجينية من الآباء إلى الأبناء، فكيف ينالها الشخص وكيف يصل إليها؟

والجواب أن هناك وسائل تعين المرء للوصول إلى المروءَة المبتغاة نذكر بعضها فيما يلي:

١- علو الهمة والتطلع إلى السمو بالنفس، والترقي بها إلى المعالي.

(١) الخنا: الفحش في القول. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/ ٢٤٤).

(٢) ((روضة العقلاء)) (ص٢٣٠).

٢- منافسة أصحاب المروءات ومسابقة أصحاب الأخلاق العالية ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

٣- شرف النفس واستعفافها ونزاهتها وصيانتها.

٤- المال الصالح خير معين على بلوغ المروءات، قال أبو حاتم: (من أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح، ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي:

احتل لنفسك أيها المحتال فمن المروءَة أن يرى لك مال

كم ناطق وسط الرجال وإنما عنهم هناك تكلم الأموال

فالواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال، فمن رزق ذلك، وضنَّ بإنفاقه في إقامة مروءته، فهو الذي خسر الدنيا والآخرة، ولا آمن أن تفجأه المنية فتسلبه عما ملك كريهًا، وتودعه قبرًا وحيدًا، ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده، وينفقه ولا يشكره، فأي ندامة تشبه هذه، وأي حسرة تزيد عليها)[١].

ولذا قال بعض العرب: (المروءَة طعام مأكول، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وكلام معسول. وقيل: لا مروءة لمقل. وقال بعضهم: المال والمروءَة رضيعا لبان، وشريكا عنان، وغزيا حصان، وفرسا رهان. وقال بعضهم: لا مروءة إلا بالمال والفعال. ورفع إلى المنصور كثرة نفقات محمد بن سليمان والي البصرة، فوقع: أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤنة)[٢].

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص٢٣٣).
(٢) ((عين الأدب والسياسة)) لابن هذيل الأندلسي (١٤٢-١٤٣).

٥- اختيار الزوجة الصالحة ((فاظفر بذات الدين تربت يداك))[١].

قال مسلمة بن عبد الملك: (ما أعان على مروءة المرء كالمرأة الصالحة).

قال الشاعر:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة مدبرة ضاعت مروءة داره

٦- مجالسة أهل المروءات، ومجانبة السفهاء وأهل السوء.

أسند ابن حبان عن بعضهم قال: (كان يقال: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدلُّ على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب)[٢].

ومتى جالس المرء أهل المروءات اكتسب منهم صالح الأخلاق والصفات: قال ابن عبد البر: (فلا تكاد تجد حسن الخلق، إلا ذا مروءة وصبر)[٣].

وكذلك إن عاشر المرء إخوان السوء وقليلي المروءَة أخذ عنهم أخلاقهم، وكان ذلك سببًا في القدح بمروءته: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: (آفة المروءَة إخوان السوء)[٤].

انقسام الفضائل بين الكرم والمروءَة:

كل كرم ومروءة فضيلة وليس كل فضيلة كرمًا ومروءةً، بل تنقسم الفضائل مع الكرم والمروءَة إلى أربعة أقسام:

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

(٢) ((روضة العقلاء)) (ص ٢٣٤).

(٣) ((الاستذكار)) (٥ / ١٠٥).

(٤) ((المروءَة)) للمرزبان (ص١١٧)، و((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (٢٣٤).

١- القسم الأول: ما يدخل من الفضائل في الكرم والمروءَة: كالعفو، والعفة، والأمانة.

٢- والقسم الثاني: ما يدخل في الكرم ولا يدخل في المروءَة: كالحمد، والرحمة، والحمية، والبذل، والمساعدة.

٣- والقسم الثالث: ما يدخل في المروءَة ولا يدخل في الكرم: كعلو الهمة، وحسن المعاشرة، ومراعاة المنازل، والملابس.

٤- والقسم الرابع: ما لا يدخل في الكرم ولا المروءَة: كالشَّجَاعَة، والصبر على الشدة.

فاجتمع الكرم والمروءَة في بعض الفضائل، وافترقا في بعضها، فصار الكرم أعم من المروءَة في بعض الفضائل، والمروءَة أعم من الكرم في بعض الفضائل، فلم يتعيَّن عموم أحدهما وخصوص الآخر، وإن تناسب ما ميَّز به أحدهما[1].

قالوا عن المروءَة:

- قال أعرابي: (مروءة الرجل في نفسه نسب لقوم آخرين، فإنه إذا فعل الخير عرف له، وبقي في الأعقاب والأصحاب، ولقيه يوم الحساب)[2].

- وقال صاحب (كليلة ودمنة): (الرجلُ ذو المروءَة يكرم على غير مال، كالأسد يهاب وإن كان رابضًا، والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كان غنيًّا، كالكلب يهون على الناس وإن عسَّى وطوَّف)[3].

---

(١) ((تسهيل النظر وتعجيل الظفر)) للماوردي (ص٣٠-٣١).

(٢) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (١/١١٥).

(٣) ((الصناعتين: الكتابة و الشعر)) لأبي هلال العسكري (ص ٢٤٤).

- وقيل لبعض العرب: (ما المروءَة فيكم؟ قال: طعام مأكول، ونائل مبذول، وبشر مقبول)[١].

- وقيل: (لا مروءة لمقلٍّ)[٢].

- وقال بعض الحكماء: (من قبل صلتك، فقد باعك مروءته وأذلَّ لقدرك عزَّه وجلالته)[٣].

- وقالوا: (لا تتمُّ المروءَة وصاحبها ينظر في الدقيق الحقير، ويعيد القول ويبدئه في الشيء النزر الذي لا مرد له ظاهر، ولا جدوى حاضرة)[٤].

- وقيل لبعض العارفين: (ما المروءَة؟ قال: التَّغافلُ عن زلَّة الإِخْوانِ)[٥].

- وقيل:(مجالسة أهل الدِّيانة تجلو عن القلب صدأ الذُّنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدلُّ على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب)[٦].

- قال زياد لبعض الدَّهاقين: (ما المروءَة فيكم؟ قال: اجتناب الرِّيب، فإنَّه لا ينبل مريب، وإصلاح الرَّجل ماله، فإنَّه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله، فإنَّه لا ينبل من احتاج إلى أهله، ولا من احتاج أهله إلى غيره)[٧].

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٨٣).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٣٤٠).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((الإمتاع والمؤانسة)) لأبي حيان التوحيدي (٣٤٢/١).
(٥) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٣٩٧/٢).
(٦) ((المروءَة الغائبة)) لمحمد إبراهيم سليم (ص ٦٠).
(٧) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٣٨).

المروءَة في واحة الشعر:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

للَّهِ دَرُّ فَتًى أنسابُهُ كَرَمٌ ... يا حبَّذا كرمٌ أضحى له نسبا
هل المروءَةُ إلَّا ما تقُومُ به ... من الذِّمامِ وحفظِ الجارِ إنْ عَتَبا[1]

وقال الشاعر:

وإذا جلستَ وكان مثلُكَ قائمًا ... فمِن المروءَة أن تقومَ وإن أبى
وإذا اتكأتَ وكان مثلُكَ جالسًا ... فمِن المروءَة أن تُزيلَ المتَّكا
وإذا ركبتَ وكان مثلُكَ ماشيًا ... فمن المروءَة أن مشيتَ كما مشى[2]

وقال آخر:

لا تنْظُرنَّ إلَى الثِّياب فَإنَّني ... خلِقُ الثِّيابِ من المروءَة كَاسِ[3]

وقال بعض الشعراء:

وفَتًى خَلَا من ماله ... ومن المروءَة غَيْرُ خَالِي
أَعْطَاك قَبْل سُؤَاله ... وكفاك مكرُوه السُّؤَالِ[4]

وقال الْأَحْنف بن قَيْس:

فلو كنتُ مُثرًى بمالٍ كثيرٍ ... لجُدْتُ وكنتُ له باذِلًا
فإنَّ المروءَة لا تُستطاعُ ... إذا لم يكنْ مالُها فاضلًا[5]

(١) ((ديوان علي بن أبي طالب)) (ص ٢٥).
(٢) ((المروءة)) لابن المرزبان (ص ١٣٦).
(٣) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٣/٥٢٨).
(٤) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨٨).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٣٣٨).

وقال ابن الجلَّال:

رُزقت مالًا ولم أُرزقْ مُروءتَه ... وما المروءَةُ إلَّا كثرة المالِ

إذا أردتُ رُقى العلياءِ يُقعدني ... عمَّا ينوِّه باسمي رقَّة الحال[1]

قال أبو المنصور:

هبني أسأتُ كما تقولُ ... فأين عاطفةُ الأُخوة

أو إن أسأتَ كما أسأتُ ... فأين فضلُك والمرُوَّة[2]

وقد قال الحصين بن المنذر الرَّقاشيِّ:

إنَّ المروءَة ليس يدركها امرؤٌ ... ورث المكارمَ عن أبٍ فأضاعها

أمرته نفسٌ بالدَّناءةِ والخَنا ... ونهته عن سُبلِ العُلا فأطاعها

فإذا أصاب مِن المكارمِ خلَّةً ... يبني الكريمُ بها المكارمَ باعها[3]

وقال آخر:

إذا المرءُ أعيته المروءَة ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ[4]

وقال منصور الفقيه:

وإذا الفتى جمع المروءَة والتُّقَى ... وحوى مع الأدبِ الحياءَ فقد كمل[5]

وقال بعضهم:

ومن المروءَةِ للفتى ... ما عاش دارٌ فاخره

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٣٣).

(٢) ((آداب الصحبة)) للسلمي (ص ٩٩).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٢٩).

(٤) ((البديع في نقد الشعر)) لابن منقذ (ص ١٩٩).

(٥) ((المروءَة وخوارمها)) مشهور حسن آل سلمان (ص ٥١).

فاقنعْ من الدنيا بها ... واعملْ لدارِ الآخره[١]

وقال آخر:

كفى حزنًا أنَّ المروءَة عُطِّلت ... وأنَّ ذوي الألباب في الناس ضيعُ

وأنَّ ملوكًا ليس يحظَى لديهمُ ... من النَّاسِ إلا من يغني ويصفعُ[٢]

وقال بهاء الدين زهير:

وَما ضَاقتِ الدُّنيا على ذي مروءةٍ ... ولا هي مسدودٌ عليهِ رحابها

فقَد بشَّرتني بالسَّعادَةِ هِمَّتي ... وجاء من العلياءِ نحوي كتابها[٣]

وقال عبد الجبار بن حمديس:

أدِمِ المروءَة والوفاءَ ولا يكنْ ... حبلُ الديانة منك غيرَ متينِ

والعزُّ أبقَى ما تراه لمكرمٍ ... إكرامه لمروءةٍ أو دينِ[٤]

وقال أبو فراس الحمداني:

الحُرُّ يَصْبِرُ مَا أطَاقَ تَصَبُّرًا ... في كلِّ آونةٍ وكلِّ زمانِ

ويرى مساعدةَ الكرامِ مروءةً ... ما سالمتهُ نوائبُ الحدثانِ[٥]

وقال حافظ إبراهيم:

إنِّي لتطربني الخلال[٦] كريمة ... طرب الغريب بأوبة[٧] وتلاقي

---

(١) ((المروءَة وخوارمها)) مشهور حسن آل سلمان (ص ٥٢).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((ديوان بهاء الدين زهير)) (ص ٢٢).

(٤) ((ديوان ابن حمديس)) (ص ٤٣٣).

(٥) ((ديوان أبي فراس الحمداني)) (ص ٣٣٥).

(٦) خلال: جمع خلة وهي الخصلة. ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٢١٦).

(٧) الأوبة: الرجوع. انظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢١٨).

وتهزَّني ذكرى المروءَة والنَّدى بين الشَّمائل هزَّةَ المشتاقِ[١]

وقال آخر:

مررتُ على المروءَة وهي تبكي فقلتُ علامَ تنتحبُ[٢] الفتاةُ؟

فقالَتْ كيف لا أبكي وأهلِي جميعًا دونَ خلقِ اللَّهِ ماتوا[٣]



(١) ((ديوان حافظ إبراهيم)) (ص ٢٧٩).

(٢) النحيب: رفع الصوت بالبكاء. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٧٤٩).

(٣) ((مجاني الأدب)) لرزق الله شيخو (١٦٩/٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

